العقل
رقي الإنسان

ودراسة في الحقوق والعقوق

المرجع الديني الراحل
آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي
(أعلى الله درجاته)

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

قميش: مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر
بيروت ـ لبنان

منشورات : مؤسسة أم أبيها عليها السلام ثقافية ـ خيرية

كربلاء المقدسة / شارع قبلة الإمام الحسين عليه السلام

الفرع المقابل لقاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مقابل فندق ريحانة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم

٠٠٩٦٤٧٩٠٣٣٨٩٥٨٥

٠٠٩٦٤٧٨١١١٦٩٥٩٦

٠٠٩٦٤٧٧٠٢٧٨٧٧٨٣

العقل رقي الإنسان

المرجع الديني الراحل
آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي
(قدس سره الشريف)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

العقل ورعاية الحقوق

قال الإمام السجاد عليه السلام في رسالته المعروفة برسالة الحقوق: «اعلم رحمك الله، أن لله عليك حقوقاً محيطةً بك، فبكل حركة تحركتها، أو سكنة سكنتها، أو منزلة نزلتها، أو جارحة قلّبتها، أو آلة تصرفت

بها، بعضها أكبر من بعض، وأكبر حقوق الله عليك ما أوجبه لنفسه تبارك وتعالى من حقه الذي هو أصل الحقوق، ومنه تفرع، ثم أوجبه عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك على اختلاف جوارحك..»[1].

إن الله عزوجل ميز الإنسان عن سائر الخلق بعقله، وجعل العقل سبباً لرقيه.

ومما يدل العقل عليه، ضرورة رعاية الحقوق.

فإن لكل إنسان يعيش في أي مجتمع حقوقاً على الآخرين، كما أن لهم حقوقاً عليه أيضاً، فمن حيث كونه أباً ـ مثلاً ـ فله حق على أبنائه، ومن حيث كونه إبناً
ـ مثلاً ـ فعليه رعاية حق والديه، وهكذا بقية الأنساب والأسباب وما أشبه، مما يدل على أن الحقوق في الإسلام متقابلة، ولأجل أن يكون الإنسان باراً وفياً أميناً لا عاقاً ولا خائناً ولا جاحداً، عليه أن يعرف ما له وما عليه من الحقوق، يلزم عليه أن يقوم بمراعاتها وأدائها.

وقد ذكر الامام السجاد عليه السلام هذه الحقوق واحداً واحداً، بحيث يتضح منها ما للإنسان وما عليه من

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١١ ص١٥٤ ب٣ ح١٢٦٦٤. وروى الشيخ الصدوق رحمه الله هذه الرسالة الشريفة في كتابه «الخصال» باختلاف يسير.

الحقوق المتقابلة، حتى يعمّ تقابل الحقوق بين العبد وربه أيضاً، كما جاء في تعبيره عليه السلام :

«.. فجعل لبصرك عليك حقاً، ولسمعك عليك حقاً، وللسانك عليك حقاً، ولِيَدك عليك حقاً، ولرِجلك عليك حقاً، ولبطنك عليك حقاً، ولفرجك عليك حقاً، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال، ثم جعل عز وجل لأفعالك عليك حقوقاً، فجعل لصلاتك عليك حقاً، ولصومك عليك حقاً، ولصدقتك عليك حقاً، ولهديك عليك حقاً، ولأفعالك عليك حقاً، ثم تخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذوي الحقوق الواجبة عليك، وأوجبها عليك حق أئمتك، ثم حقوق رعيتك، ثم حقوق رحمك، فهذه حقوق يتشعب منها حقوق، فحقوق أئمتك ثلاثة: أوجبها عليك حق سائسك بالسلطان، ثم سائسك بالعلم، ثم حق سائسك بالملك، وكل سائس إمام، وحقوق رعيتك ثلاثة: أوجبها عليك حق رعيتك بالسلطان، ثم حق رعيتك بالعلم، فإن الجاهل رعية العالم، وحق رعيتك بالملك من الأزواج وما ملكت من الأيمان، وحقوق رحمك كثيرة متصلة بقدر اتصال الرحم في القرابة، فأوجبها عليك حق أمك، ثم حق أبيك، ثم حق ولدك، ثم حق أخيك، ثم الأقرب فالأقرب، والأول فالأول، ثم حق مولاك المنعم عليك، ثم حق مولاك الجاري نعمته عليك، ثم حق ذي المعروف لديك، ثم حق مؤذنك بالصلاة، ثم حق إمامك في صلاتك، ثم

حق جليسك، ثم حق جارك، ثم حق صاحبك، ثم حق شريكك، ثم حق مالك، ثم حق غريمك الذي تطالبه، ثم حق غريمك الذي يطالبك، ثم حق خليطك، ثم حق خصمك المدعي عليك، ثم حق خصمك الذي تدعي عليه، ثم حق مستشيرك، ثم حق المشير عليك، ثم حق مستنصحك، ثم حق الناصح لك، ثم حق من هو أكبر منك، ثم حق من هو أصغر منك، ثم حق سائلك، ثم حق من سألته، ثم حق من جرى لك على يديه مساءة بقول أو فعل، أو مسرة بذلك بقول أو فعل عن تعمد منه أو غير تعمد منه، ثم حق أهل ملتك عامةً، ثم حق أهل الذمة، ثم الحقوق الجارية بقدر علل الأحوال وتصرف الأسباب، فطوبى لمن أعانه الله على قضاء ما أوجب عليه من حقوقه، ووفقه وسدده.

فأما حق الله الأكبر: فإنك تعبده لا تشرك به شيئاً، فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة، ويحفظ لك ما تحب منها.

وأما حق نفسك عليك: فأن تستوفيها في طاعة الله، فتؤدي إلى لسانك حقه، وإلى سمعك حقه، وإلى بصرك حقه، وإلى يدك حقها، وإلى رجلك حقها، وإلى بطنك حقه، وإلى فرجك حقه، وتستعين بالله على ذلك.

وأما حق اللسان: فإكرامه عن الخنا، وتعويده على الخير، وحمله على الأدب، وإجمامه إلا لموضع الحاجة والمنفعة للدين والدنيا، وإعفاؤه من الفضول

الشنعة القليلة الفائدة، التي لا يؤمن ضررها مع قلة عائدتها، وبعد شاهد العقل والدليل عليه وتزين العاقل بعقله حسن سيرته في لسانه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» [1].

نعم، هذه هي الشريعة الإسلامية التي تريد كمال الإنسان وسعادته، وأن يستفيد من عقله لكي يرقى ويتقدم، فهي تحثه على رعاية الآداب الاجتماعية واكتساب الفضائل الأخلاقية من جانب، وتنبهه إلى رعاية حقوقه الشخصية، وتذكره بأن لبدنه عليه حقاً من جانب آخر.

وهذا يعني أن الإنسان موجود ذو بعدين: روح وجسم، عقل وشهوة، فهو مزيج من الروحانيات والجسمانيات، ومن المعنويات والماديات، فالمعنويات تسمو بالروح وتعرج بالإنسان نحو نيل المحاسن والمكارم، وأداء الحقوق والواجبات، وكسب الاخلاق والآداب، من الحلم والعفو، ولين الجانب وحسن العشرة، وغيرها. بينما الماديات لا تسمو بالجسم لو أفرط فيها، وتهبط بالإنسان إلى مستوى إشباع الغرائز من الأكل والشرب والنوم والجماع وغيرها. فقد قال رسول الله ﷺ: «لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فإن القلوب تموت كالزروع إذا كثر عليه

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١١ ص١٥٤ ب٣ ح١٢٦٦٤.

الماء» [1].

في الإفراط والتفريط تضييع الحقوق

إن الماديات والشهوات من طبيعتها أن تجر الإنسان عادة إلى التسافل، وتدعوه إلى التخلي عن الفضائل، وتهبط به إلى ترك الحقوق والواجبات، إلاّ إذا تعامل معها بنحو من الاعتدال والتوازن.

فإذا لم يراع في تناول الماديات العقل، ولم يلاحظ الاقتصاد والتوسط، والاتزان والتعادل، فإنها تكون مهلكة للإنسان؛ فربما تجره إلى اقتراف المعاصي والذنوب، وهتك الحقوق والفرائض، نتيجة سعيه غير المشروع في تناول بعض الأمور المادية، واتباع بعض الأهواء النفسانية، وما أكثر هذا الصنف من الناس؛ فإن من أبرز مواطن الضعف عند الإنسان عدم اعتداله في الأمور المادية، والأهواء النفسانية، الأمر الذي يوقعه إما في الإفراط أو التفريط.

فالإنسان غير المتوازن في طريقة تمتعه بالطيبات والاستفادة من الماديات لا شك أنه سيقع فريسة الشهوة إذا ما تغلبت عليه، فيكون مضيعاً للحقوق تاركاً للواجبات، شرهاً في الأكل والشرب والنوم

---

(١) مكارم الأخلاق: ص١٤٩ ب٧ ف٣.

والسكن والجماع والملبس، ونحو ذلك. والإنسان غير المتوازن في غضبه وطريقة استخدامه للقوة الغضبية، لا شك في أنه يضيّع الحقوق والواجبات التي عليه للآخرين، لأنه قد يغلب عليه غضبه فيظلم نفسه وأهله ومجتمعه.

هذا وقد تواترت الروايات الشريفة التي توجه المسلم الواعي إلى الاتزان في كل تفاصيل حياته، فإن الاتزان ثمرة العقل وهو سبب الرقي في حياة الإنسان.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سأل ربه ليلة المعراج؟ فقال: يا رب أي الأعمال أفضل»؟

ـ إلى أن قال ـ : قال: «يا أحمد، وعزتي وجلالي، ما من عبد ضمن لي بأربع خصال إلاّ أدخلته الجنة: يطوي لسانه فلا يفتحه إلاّ بما يعنيه، ويحفظ قلبه من الوسواس، ويحفظ عمله ونظري إليه، وتكون قرة عينه الجوع. يا أحمد، لو ذقت حلاوة الجوع والصمت والخلوة وما ورثوا منها.

قال: يا رب، ما ميراث الجوع؟

قال: الحكمة، وحفظ القلب، والتقرب إليّ، والحزن الدائم، وخفة المئونة بين الناس، وقول الحق، ولا يبالي عاش بيسر أو بعسر. يا أحمد، هل تدري بأي وقت يتقرب العبد إلى الله؟

قال: لا يا رب.

قال: إذا كان جائعاً أو ساجداً. يا أحمد، إن العبد إذا جاع بطنه وحفظ لسانه علّمته الحكمة، وإن كان كافراً تكون حكمته حجةً عليه ووبالاً»[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «قلة الأكل محمود في كل حال وعند كل قوم، لأن فيه مصلحة للظاهر والباطن، والمحمود من المأكولات أربعة: ضرورة، وعدة، وفتوح، وقوت، فالأكل الضروري للأصفياء، والعُدّة لقوام الأتقياء، والفتوح للمتوكلين، والقوت للمؤمنين، وليس شيء أضر لقلب المؤمن من كثرته؛ فيورث شيئين: قسوة القلب، وهيجان الشهوة، والجوع إدام للمؤمنين وغذاء للروح، وطعام للقلب وصحة للبدن»[2].

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما ملأ ابن آدم وعاء أشر من بطنه»[3]. وقال داود عليه السلام: «ترك اللقمة مع الضرورة إليها أحبّ إليّ من قيام عشرين ليلة»[4].

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١٦ ص٢١٨ ب٢ ح١٩٦٤٧.

(٢) مصباح الشريعة: ص٧٧ الباب ٣٤ في الأكل.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١٦ ص٢١١ ب١ ح١٩٦٢٧.

(٤) مستدرك الوسائل: ج١٦ ص٢١١ ب١ ذيل ح١٩٦٢٧.

وقال النبيﷺ: «المؤمن يأكل في معاء واحد، والمنافق في سبعة أمعاء»[1].

وقال النبي ﷺ: «ويل للناس من القبقبين. فقيل: وما هما يا رسول الله؟ قال: الحلق والفرج»[2].

وقال عيسى ابن مريم عليه السلام: «ما مرض قلب بأشد من القسوة، وما اعتلت نفس بأصعب من نقص الجوع، وهما زمامان للطرد والخذلان»[3].

هذا من جانب الإفراط، أما من جانب التفريط، فإن الإنسان قد يهمل نفسه وأسرته، ويقصر في مأكله وملبسه، ويعتكف في المغارات والكهوف، ويترك مسكنه ومجتمعه، وما شابه، فإنه مضافاً إلى انتهاكه للحقوق وتركه للواجبات التي عليه، يحرِّم على نفسه الكثير من الطيبات التي خلقها الله سبحانه وتعالى من أجله، وأحلّها له ، وبذلك فانه يقع في التفريط وهو خلاف العقل الذي من شروط رقي الإنسان.

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «جاءت

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١٦ ص٢١١ ب١ ذيل ح١٩٦٢٧.

(٢) بحار الأنوار: ج٦٣ ص٣٣٧ ب ٥ ذم كثرة الأكل...

(٣) مصباح الشريعة: ص٧٧ ب٣٤ في الأكل.

امرأة عثمان بن مظعون[1] إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن عثمان يصوم النهار ويقوم الليل، فخرج رسول الله ﷺ مغضباً يحمل نعليه، حتى جاء إلى عثمان فوجده يصلي، فانصرف عثمان حين رأى

---

(١) عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن غالب القرشي الجمحي، يكنى أبا السائب، أسلم في الأوائل، قيل: أسلم بعد ثلاثة عشر رجلا، وهاجر الى الحبشة هو وابنه السائب الهجرة الأولى مع جماعة من المسلمين، فبلغهم وهم بالحبشة: أن قريشا قد أسلمت فعادوا، ولما رأى عثمان ما يلقى رسول الله ﷺ وأصحابه من الأذى وهو يغدو ويروح بأمان الوليد بن المغيرة، قال عثمان: والله إن غدوي ورواحي آمنا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل بيتي يلقون البلاء والأذى في الله ما لايصيبني لنقص شديد في نفسي، فمضى الى الوليد بن المغيرة، فقال: يا أبا عبد شمس، وفت ذمتك، قد كنت في جوارك وقد أحببت أن أخرج منه الى رسول الله ﷺ، فلي به وبأصحابه أسوة. فقال الوليد: فلعلك يا ابن أخي أوذيت، أو انتهكت؟! قال: لا، ولكن أرضى بجوار الله ولا أريد أن أستجير بغيره، فرد عليه جواره. هاجر عثمان إلى المدينة وشهد بدراً، وكان من أشد الناس اجتهاداً في العبادة، يصوم النهار ويقوم الليل، ويجتنب الشهوات ويعتزل النساء. واستأذن رسول الله ﷺ في التبتل والاختصاء، فنهاه عن ذلك، وهو ممن حرم الخمر على نفسه، وقال: لا أشرب شرابا يذهب عقلي، ويضحك بي من هو أدنى مني، وهو أول رجل مات بالمدينة من المهاجرين، مات سنة اثنتين من الهجرة، قيل: توفى بعد اثنين وعشرين شهرا بعد شهوده بدراً، وهو أول من دفن بالبقيع، وأعلم النبي ﷺ على قبره بحجر، وكان يزوره. وفي زيارة الناحية المقدسة الواردة عن الإمام الحجة بن الحسن عليه السلام: «السلام على عثمان ابن أمير المؤمنين، سمي عثمان بن مظعون». قيل: أول من تبعه من أهل النبي ﷺ إبراهيم بن النبي ﷺ.

رسول الله ﷺ فقال له: يا عثمان، لم يرسلني الله تعالى بالرهبانية[1]، ولكن بعثني بالحنيفية السهلة السمحة، أصوم وأصلي وألمس أهلي، فمن أحب فطرتي فليستن بسنتي، ومن سنتي النكاح»[2].

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «إن رسول الله ﷺ دخل بيت أم سلمة فشمّ ريحاً طيبةً، فقال: أتتكم الحولاء؟ فقالت: هو ذا هي تشكو زوجها، فخرجت عليه الحولاء، فقالت: بأبي أنت وأمي، إن زوجي عني معرض؟! فقال: زيديه يا حولاء، قالت: ما أترك شيئاً طيباً مما أتطيب له به، وهو عني معرض!! فقال: أما لو يدري ما له بإقباله عليك، قالت: وما له بإقباله

---

(١) روي عن ابن مسعود قال: كنت رديف رسول الله ﷺ على حمار فقال: يا ابن أم عبد، هل تدري من أين أحدثت بنو إسرائيل الرهبانية؟» فقلت: الله و رسوله أعلم. فقال: «ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى عليه السلام يعملون بمعاصي الله، فغضب أهل الإيمان فقاتلوهم، فهزم أهل الإيمان ثلاث مرات، فلم يبق منهم إلا القليل، فقالوا: إن ظهرنا هؤلاء أفنونا، ولم يبق للدين أحد يدعو إليه، فتعالوا نتفرق في الأرض إلى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا به عيسى عليه السلام يعنون محمداً ﷺ فتفرقوا في غيران الجبال، وأحدثوا رهبانية، فمنهم من تمسك بدينه، ومنهم من كفر»، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ سورة الحديد: ٢٧، ثم قال: «يا ابن أم عبد، أ تدري ما رهبانية أمتي؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة». بحار الأنوار: ج١٤ ص٢٧٧ ب٢٠ بيان.

(٢) الكافي: ج٥ ص٤٩٤ باب كراهية الرهبانية وترك الباه ح١.

علي؟ فقال: أما إنه إذا أقبل اكتنفه ملكان فكان كالشاهر سيفه في سبيل الله، فإذا هو جامع تحات عنه الذنوب كما يتحات ورق الشجر، فإذا هو اغتسل انسلخ من الذنوب»[1].

وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال: «إن ثلاث نسوة أتين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت إحداهن: إن زوجي لا يأكل اللحم؟! وقالت الأخرى: إن زوجي لا يشم الطيب؟! وقالت الأخرى: إن زوجي لا يقرب النساء؟! فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ما بال أقوام من أصحابي لا يأكلون اللحم، ولا يشمون الطيب، ولا يأتون النساء؟! أما إني آكل اللحم، وأشم الطيب، وآتي النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[2].

وقال عليه السلام أيضاً: «إن الله تبارك وتعالى أعطى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم شرائع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام: التوحيد، والإخلاص، وخلع الأنداد، والفطرة، والحنيفية السمحة، لا رهبانية ولا سياحة، أحل فيها الطيبات وحرم فيها الخبيثات، ووضع عنهم إصرهم

---

(١) الكافي: ج٥ ص٤٩٦ باب كراهية الرهبانية وترك الباه ح٤.

(٢) الكافي: ج٥ ص٤٩٦ باب كراهية الرهبانية وترك الباه ح٥.

والأغلال التي كانت عليهم، فعرف فضله بذلك..»[1].

(١) المحاسن: ج١ ص٢٨٧ ب٤٦ ح٤٣١.

تضييع الحقوق من جهات عديدة

لا شك في أن كلاً من الإفراط والتفريط، خلاف العقل وخلاف رقي الإنسان ويؤدي إلى تضيع الحقوق وترك الواجبات، ويسبب الاختلال في نظام الحياة والغاية التي من أجلها خلق الإنسان؛ ويضرّ بالإنسان والمجتمع الإنساني من جوانب عديدة، وهي كالتالي:

١: لكل من الإفراط والتفريط التأثير السيء على صحة الإنسان وسلامته، روحاً وجسماً، وأخلاقاً وآداباً، وفكراً وعقلاً، وسيرةً وسلوكاً، وكل ذلك تضييع للحقوق البدنية الواجبة على الإنسان[١].

٢: في كل من الإفراط والتفريط: ظلم النفس والبغي عليها، بوضعها في غير ما خلقت من أجله، وإحلالها في المحل غير المناسب لها، وفي ذلك تضييع للحقوق الفردية.

٣: يؤدي كل من الإفراط والتفريط إلى التفكيك

---

(١) لأن الله جل وعلا جعل في كل أمر مصلحة، وفي كل نهي مفسدة تعود إلى الإنسان نفسه، فقد تكون المصلحة ملزمة فيكون واجباً، وكذلك بالنسبة إلى المفسدة، لكن قد تكون المصلحة غير ملزمة، فيكون الأمر مستحباً، هذا في التشريعات، وكذلك جعل الله في التكوينات مصالح لنفس الإنسان، فالنوم والأكل والشرب والجماع، كلها أمور جعل لها الشارع المقدس طريقاً صحيحاً في الدنيا، فمن سلك غير هذا الطريق خسر الدنيا؛ لأنه لم يسر على النهج الصحيح الذي به بني الكون.

الاجتماعي، واختلال نظام المجتمع، فإن الإنسان فطر على الاجتماع، وهو كائن اجتماعي بالطبع، فإذا انسحب عن المجتمع، وانزوى عنه، وانطوى على نفسه، فإنه يخلّ بالمجتمع وبالنظام الاجتماعي بقدره ونسبته، فتفسد بقدر ذلك علاقات المجتمع وتتفكك عراه، وفي هذا تضييع لحقوق المجتمع وهتك للشؤون الاجتماعية.

وإلى غير ذلك من الأضرار التي يسببها الإفراط والتفريط، وهو كله خلاف العقل ورقي الإنسان.

الله تعالى وحق خالقيته

إن نعمة الوجود وخلق الإنسان، هي أول نعمة ينعم بها الله تعالى على الإنسان، وبذلك يصبح لله الخالق سبحانه حقوق على الإنسان، ويجب على الإنسان أداء تلك الحقوق العظيمة الواجبة عليه، كما ويلزم عليه تذكرها وتذكرّ المراحل التي مرّ بها؛ ليعرف قدرها فيؤدّي بعض حقها، لأن الإنسان لا يستطيع مهما جدّ واجتهد في أداء حقوق الله تعالى العظيمة عليه.

نعم، إن الإنسان عندما يخلقه الله تعالى من نطفة أمشاج، ويستقر في رحم أمه، يمر بمراحل عديدة تستحق الذكر والشكر، واحدة منها: مرحلة الخلق والتكوين، كما في الآية الكريمة: ﴿**اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ**

بِمِقْدَارٍ﴾[1].

﴿**اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى**﴾ من الولد والبنت، الجميل والقبيح، السعيد والشقي، إلى غيرها من الأوصاف ﴿**وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ**﴾ تنقص ﴿**وَمَا تَزْدَادُ**﴾ من صغر جثة الجنين وكبرها، كأن الرحم غاضت ولذا صغر الولد، أو ازدادت ولذا كبر ﴿**وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ**﴾ لا يتجاوزه صغراً ولا كبراً.

قوله: ﴿**مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ**﴾ أي: ما تنقصه الأرحام، فتجعله كالماء الذي تبتلعه الأرض.

أمور تستدعي الذكر والشكر

وفي هذه الآية الكريمة أمور ثلاثة قد تكون إشارة إلى ثلاثة من أعمال الرحم في أيام الحمل:

١. ﴿**مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى**﴾: ربما إشارة إلى الجنين الذي تقيه الأم وتحفظه في رحمها.

٢. ﴿**مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ**﴾: ربما إشارة إلى دم الحيض الذي ينصب في الرحم فيصرفه الرحم في غذاء الجنين.

٣. ﴿**مَا تَزْدَادُ**﴾: ربما إشارة إلى الدم الذي يدفعه الرحم إلى الخارج بعد الولادة، كدم النفاس، أو الدم والحمرة التي تراها الأم في أيام الحمل أحياناً.

---

(١) سورة الرعد: الآية ٨.

وفي تفسير العياشي عن أحدهما عليهما السلام في قول الله: ﴿**اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ**﴾ قال: «الغيض: كل حمل دون تسعة أشهر، ﴿**وَمَا تَزْدَادُ**﴾ كل شيء يزداد على تسعة أشهر، وكلما رأت الدم في حملها من الحيض يزداد بعدد الأيام التي رأت في حملها من الدم»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام في قول الله: ﴿**يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثى**﴾ قال: «الذكر والأنثى» ، ﴿**وَما تَغِيضُ الأَرْحامُ**﴾ قال: «ما كان دون التسعة فهو غيض» ، ﴿**وَما تَزْدادُ**﴾ قال: «ما رأت الدم في حال حملها ازداد به على التسعة الأشهر، إن كانت رأت الدم خمسة أيام، أو أقل أو أكثر، زاد ذلك على التسعة الأشهر»[2].

وقوله تعالى: ﴿**وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ**﴾ فإن كل ما يرتبط بالإنسان: من الحمل والوضع والرزق والأجل وغير ذلك، فهو عنده سبحانه وتعالى بمقدار، أي بقدر مقدور، وحدّ محدود، لا يجاوزه ولا يقصر عنه،

---

(١) تفسير العياشي: ج٢ ص٢٠٤ سورة الرعد ح١٠.

(٢) تفسير العياشي: ج٢ ص٢٠٥ سورة الرعد ح١٤.

وذلك على ما توجبه الحكمة وتقتضيه المصلحة[1].

هذا بالنسبة إلى المراحل الثلاث قبل الولادة، وأما بعد الولادة فإن الأمر أيضاً كذلك، حيث يمر الإنسان بمراحل عديدة قد تتشابه مراحل قبل الولادة من حيث التغذية والتربية والنمو، وهكذا حتى يصل إلى مرحلة الوعي والإدراك والرشد.

الناس وأداء الحقوق

إن الناس يختلفون في أدائهم الحقوق الواجبة عليهم بحسب مستواهم العقلي والفكري والديني وغير ذلك، وينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: وهو البعض الذي يتجاهل النعم التي أنعمها الله عليه، ولا يلتفت إليها أبداً، وإنما همّه في الحياة بطنه وفرجه، وقضاء وطره منهما فقط، وتلبية حاجاتهما فحسب.

القسم الثاني: وهو البعض الآخر الذي يتناسى نعم الله عليه ويتغافل عنها، وإنما همه في الحياة تحقيق أوهامه وهواجسه: من حبّ الجاه والمقام، والوصول إلى المناصب والكرسي والتسلط على الناس، وغير

---

(١) للتفصيل انظر: تقريب القرآن إلى الأذهان: ج١٣ ص٨٠ سورة الرعد، والتبيان في تفسير القرآن: ج٦ ص ٢٢٤ سورة الرعد. ومجمع البيان في تفسير القرآن: ج٦ ص١٨ سورة الرعد. وتبيين القرآن: ج٢ سورة الرعد، وغيرها.

ذلك.

القسم الثالث والأخير: وهو البعض الآخر الذي يتذكر ـ دائماً ـ نعم الله عليه ويحاول أداء شكرها وحقها، فيسلك السلوك العقلائي متبعاً في ذلك نداء العقل السليم، والفطرة السالمة، والفكر الناضج الذي منحه الله سبحانه وتعالى إياه[1]، وهذا القسم هو الذي يستفيد من عقله في سبيل رقيه.

وسيأتي بإذن الله تعالى البحث عن هذه الأقسام الثلاثة:

١: المتجاهل للحقوق

أما القسم الأول وهو الذي يتجاهل نِعَم الله عليه ولا يتذكرها، ولا يلتفت إليها أبداً، وإنما همّه في الدنيا بطنه وفرجه، وقضاء وطرهما فحسب، وتلبية حاجاتهما فقط، وهم كثيرون، حيث يعيشون في ارتباط وثيق بالبدن ولوازمه والجسم وحاجاته، في التفكير الدائم بالطعام والشراب واللباس والرياش ووسائل الراحة من مسكن واسع، ومركب فاره، وزوجات متعددة وما أشبهها، فهؤلاء لا يقيمون وزناً

---

(١) ذكر علماء الأخلاق أن صفات الإنسان على ثلاثة أقسام: شهوانية، ووهمية، وعقلائية.

لأية قيمة أخرى من قيم الحياة، سوى الطعام والشراب والمنكح والملبس.

وهؤلاء يمثلون الطائفة المتأخرة، والجماعة المنحطة من كل أمة، فالأمة إذا وجدت فيها مثل هذه الجماعة والطائفة، وصارت هي الظاهرة العامة فيها، كانت أمة فاشلة ومتأخرة، ولم يكن لها نصيب من الرقي والتقدم؛ وذلك بسبب بعد أفرادها عن التعقل والإنسانية وما تستلزمها من ذكر النعم وأداء حق المنعم.

انظر إلى قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوساً**﴾[1].

فعلى الرغم من أن الله تعالى هو الذي أنعم على الإنسان بالوجود، ومنحه هذا الكيان بأسره، بما في ذلك البدن نفسه، لكنه تجاهل كل ذلك وظل عاكفاً على الشهوات بحيث لا يفارقها، ومشتغلاً بالأهواء بحيث لايتخلى عنها، متناسياً ربه، متغافلاً عن نعمه وآلائه عليه، متشاغلاً عن شكره وأداء حقه إليه، وتراه أحياناً شديد اليأس من الخير حيث إنه قد تعلق بأسبابه التي يتوهم أنها أسباب دون أن يرى لربه في ذلك صنعاً وأثراً، ولم يصل إلى غايته ولم يُدرك أمله. وقد

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٣.

وصف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ـ كما في الشعر المنسوب إليه ـ هذه الفئة لابنه الإمام الحسن عليه السلام بقوله:

ابني إن من الرجـــال بهيمـــة
في صورة الرجل السميع المبصر[1]

عاقبة الإنسان المنكر للحقوق

يستفاد من الروايات الشريفة أن بعض الناس العاصين يوم القيامة يحشرون بصورهم الواقعية، فمن كان في الدنيا منكراً لنعم الله، وجاحداً لحقوقه تعالى عليه، مشتغلاً بالمعاصي والسيئات، فإنه يُحشر في يوم القيامة على هيئة الحيوانات، من القردة والخنازير وما أشبه ذلك!!

من هنا يلزم على الإنسان أن يسأل من الله عزوجل الستر خاصة في يوم القيامة. كما ورد في الأدعية الشريفة: «ولا تكشف عنا ستراً سترته على رؤوس الأشهاد يوم تبلو أخبار عبادك»[2].

وقد ذكر المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلاّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ**

---

(١) الديوان المنسوب لأمير المؤمنين عليه السلام: ١٨٢.

(٢) الصحيفة السجادية، من دعائه عليه السلام بخواتم الخير.

الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ﴾[1] بأن آكلي الربا ـ الذين تجاهلوا أمر الله بحرمة الربا وعصوا الله في ذلك ولم يؤدوا إليه حقه ـ يحشرون يوم القيامة وهم يركضون كالمجانين، فيعرفهم بذلك أهل المحشر، بل أكثر من ذلك[2]، فإن كل عمل مخالف للشرع فإنه لا يقبل به العقل، فمرتكب الحرام يأتي يوم القيامة وقد تجسد ذلك العمل مع صاحبه بصورة من أبشع الصور، يوحشه ويُفزعه، فيفزع المذنبون ذلك اليوم بسبب انحرافهم في الدنيا، وابتعادهم عن مقتضى الأصول العقلائية، والفطرة الإنسانية الصحيحة، كالرحمة والعدل، ومساعدة الفقراء والإحسان، والحب والمسامحة، وغيرها من الصفات الحميدة.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : «إن ابن آدم إذا كان في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة مثّل له ماله وولده وعمله، فيلتفت إلى ماله فيقول: والله إني كنت عليك لحريصاً شحيحاً فما لي عندك؟ فيقول: خذ مني كفنك، ثم يلتفت إلى ولده فيقول: والله إني كنت لكم لمحباً وإني كنت عليكم لمحامياً، فماذا لي عندكم؟ فيقولون: نؤديك إلى حفرتك ونواريك فيها، ثم يلتفت

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٧.

(٢) انظر التبيان في تفسير القرآن: ج٢ ص٣٦٠ سورة البقرة.

إلى عمله فيقول: والله إني كنت فيك لزاهداً وإنك كنت علي لثقيلاً، فماذا عندك؟ فيقول: أنا قرينك في قبرك ويوم حشرك حتى أعرض أنا وأنت على ربك، فإن كان لله ولياً أتاه أطيب الناس ريحاً وأحسنهم منظراً وأزينهم رياشاً، فيقول: أبشر بروح من الله وريحان وجنة نعيم، قد قدمت خير مقدم، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح ارتحل من الدنيا إلى الجنة، وإنه ليعرف غاسله ويناشد حامله أن يعجله، فإذا أدخل قبره أتاه ملكان، وهما فتانا القبر، يجران أشعارهما ويبحثان الأرض بأنيابهما وأصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف، فيقولان له: من ربك؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟ فيقول: الله ربي، ومحمد ﷺ نبيي، والإسلام ديني، فيقولان: ثبتك الله فيما تحب وترضى، وهو قول الله: ﴿**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾[1] فيفسحان له في قبره مد بصره ويفتحان له باباً إلى الجنة ويقولان له: نم قرير العين، نوم الشاب الناعم وهو قوله: ﴿**أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً**﴾[2]، وإذا كان لربه عدواً، فإنه يأتيه أقبح خلق الله رياشاً وأنتنه

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٢٧.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٢٤.

ريحاً، فيقول له: أبشر بنزل من حميم وتصلية جحيم، وإنه ليعرف غاسله ويناشد حامله، أن يحبسه، فإذا أدخل قبره أتياه ممتحنا القبر، فألقيا عنه أكفانه، ثم قالا له: من ربك، ومن نبيك، وما دينك؟ فيقول: لا أدري. فيقولان له: ما دريت ولا هديت، فيضربانه بمرزبة ضربة ما خلق الله دابة إلا وتذعر لها ما خلا الثقلين، ثم يفتحان له باباً إلى النار ثم يقولان له: نم بشرّ حال، فهو من الضيق مثل ما فيه القنا من الزج، حتى أن دماغه يخرج من بين ظفره ولحمه، ويسلط الله عليه حيات الأرض وعقاربها وهوامها، فتنهشه حتى يبعثه الله من قبره، وإنه ليتمنى قيام الساعة مما هو فيه من الشر»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لما أسري بي إلى السماء رأيت قوماً يريد أحدهم أن يقوم فلا يقدر أن يقوم من عظم بطنه، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلاّ كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس»[2].

هذا حال من انحرف في الدنيا وجحد نعم الله ولم

---

(١) بحار الأنوار: ج٦ ص٢٢٤ ب٨ ح٢٦.

(٢) تفسير القمي: ج١ ص٩٣ تفسير سورة البقرة.

يؤد حقه تعالى وخالف عقله ولم يرتق إلى المقامات العالية المعنوية. وهو عكس حال من يقوم بالأعمال الحسنة ويؤدي حق الله تعالى ويطيعه في الدنيا، ويطيع عقله ويرقى، حيث يحشر ومعه ذلك العمل الحسن في صورة جميلة جداً، يقوم بايناس وحشته وإذهاب روعه وإزالة خوفه يوم القيامة، فعن أحدهما عليهما السلام ـ أي الإمام الباقر أو الصادق عليهما السلام ـ قال:

«إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستة صور، فيهن صورة هي أحسنهن وجهاً وأبهاهن هيئة وأطيبهن ريحاً وأنظفهن صورة ـ قال ـ فيقف صورة عن يمينه وأخرى عن يساره وأخرى بين يديه وأخرى خلفه وأخرى عند رجليه، ويقف التي هي أحسنهن فوق رأسه، فإن أتى عن يمينه منعته التي عن يمينه، ثم كذلك إلى أن يؤتى من الجهات الست ـ قال ـ فتقول أحسنهن صورة: من أنتم جزاكم الله عني خيراً؟ فتقول التي عن يمين العبد: أنا الصلاة، وتقول التي عن يساره: أنا الزكاة، وتقول التي بين يديه: أنا الصيام، وتقول التي خلفه: أنا الحج والعمرة، وتقول التي عند رجليه: أنا بر من وصلت من إخوانك، ثم يقلن: من أنت، فأنت أحسننا وجهاً وأطيبنا ريحاً

وأبهانا هيئةً؟ فتقول: أنا الولاية لآل محمد ﷺ[1].

ولقد جاء في الحديث الشريف بأن القرآن الحكيم يأتي يوم القيامة في أجمل صورة، لم ير أهل المحشر أجمل منه، فيشفع للعاملين به في ذلك اليوم الرهيب.

فعن الامام الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ تعلّموا القرآن فإنّه يأتي يوم القيامة صاحبه في صورة شابّ جميلٍ شاحب اللّون، فيقول له القرآن: أنا الّذي كنت أسهرت ليلك وأظمأت هواجرك وأجففت ريقك وأسلت دمعتك، أؤول معك حيثما ألت، وكلّ تاجرٍ من وراء تجارته، وأنا اليوم لك من وراء تجارة كلّ تاجرٍ، وسيأتيك كرامةٌ من الله عزّ وجل فأبشر، فيؤتى بتاجٍ فيوضع على رأسه ويعطى الأمان بيمينه والخلد في الجنان بيساره ويكسى حلّتين، ثمّ يقال له: اقرأ وارقه، فكلّما قرأ آيةً صعد درجة، ويكسى أبواه حلّتين، إن كانا مؤمنين، ثمّ يقال لهما: هذا لما علّمتماه القرآن»[2].

وقال عليه السلام: «إنّ الدواوين يوم القيامة ثلاثة: ديوان فيه النّعم، وديوان فيه الحسنات، وديوانٌ فيه السيّئات، فيقابل بين ديوان النّعم وديوان الحسنات، فتستغرق

---

(١) المحاسن: ج١ ص٢٨٨ ب٤٦ ح٤٣٢.

(٢) الكافي: ج٢ ص٦٠٣ باب فضل حامل القرآن ح٣.

النّعم عامّة الحسنات، ويبقى ديوان السيّئات، فيدعى بابن آدم المؤمن للحساب، فيتقدّم القرآن أمامه في أحسن صورةٍ فيقول: يا ربّ، أنا القرآن، وهذا عبدك المؤمن قد كان يتعب نفسه بتلاوتي ويطيل ليله بترتيلي وتفيض عيناه إذا تهجّد، فأرضه كما أرضاني.ـ قال: ـ فيقول العزيز الجبّار: عبدي، أبسط يمينك فيملؤها من رضوان الله العزيز الجبّار، ويملأ شماله من رحمة الله، ثمّ يقال: هذه الجنّة مباحةٌ لك، فاقرأ واصعد، فإذا قرأ آيةً صعد درجةً»[1].

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «إذا جمع الله عزّ وجلّ الأوّلين والآخرين، إذا هم بشخصٍ قد أقبل لم ير قطّ أحسن صورةً منه، فإذا نظر إليه المؤمنون وهو القرآن، قالوا: هذا منّا هذا أحسن شيءٍ رأينا، فإذا انتهى إليهم جازهم، ثمّ ينظر إليه الشّهداء حتّى إذ انتهى إلى آخرهم جازهم، فيقولون: هذا القرآن، فيجوزهم كلّهم حتّى إذا انتهى إلى المرسلين فيقولون: هذا القرآن، فيجوزهم حتّى ينتهي إلى الملائكة فيقولون: هذا القرآن فيجوزهم، ثمّ ينتهي حتّى يقف عن يمين العرش، فيقول الجبّار: وعزّتي وجلالي وارتفاع مكاني، لأكرمنّ اليوم من أكرمك، ولأهينّ

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦٠٢ كتاب فضل القرآن ح١٢.

من أهانك».[1]

جحدة الحقوق في القرآن الحكيم

ينقل لنا القرآن الحكيم صوراً متعدّدة عن بعض الذين أهملوا عقولهم ولم يقوموا بأداء الحقوق التي عليهم تجاه الله تعالى أو تجاه عباد الله، وعلى سبيل المثال نذكر ما نقله لنا عن آكلي أموال اليتامى ظلماً، وعن حالهم يوم القيامة من قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً**﴾[2].

والظاهر أن المراد من الأكل هنا في الآية الكريمة هو: عموم التصرف العدواني وغير المشروع في أموال اليتامى، لا خصوص الأكل المتعارف[3]، وإنما ذكرت الآية الكريمة الأكل، لأنه يشكل أبرز منافع المال وأظهره، فالأكل كناية عن عموم التصرف، ومختلف وجوه الانتفاع.

وعليه: فلا يحسب من يأكل مال اليتيم أنه ربح مادياً؛ إذ هذه جهة ظاهرية، لكن الجهة الواقعية والتي

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦٠٢ كتاب فضل القرآن ح١٤.

(٢) سورة النساء: الآية ١٠.

(٣) للتفصيل انظر موسوعة الفقه، كتاب البيع، للإمام الشيرازي الراحل أعلى الله مقامه.

هي الأهم: هو ما يقترفه من الأضرار المعنوية، فإنها أكبر وأكثر، والقرآن يشير إلى أن من أكل أموال اليتامى ظلماً، فكأنه قد ملأ جوفه من النار، وإن كان لا يحسها بظاهرها المادي وصورتها الدنيوية، ولكنها في حقيقتها المعنوية وصورتها الأخروية نار تظهر يوم القيامة وتتجسم، وذلك حسب قاعدة تجسم الأعمال يوم القيامة.

ومما يستفاد من هذه الآية الكريمة هو:

إن كلام الإنسان وعمله وفكره ومعتقده في هذه الدنيا، له ظاهر نراه ونحس به، وله واقع وباطن لا نراه ولا نحس به إلاّ بالانتقال إلى الآخرة.

ومن المعلوم: إن الإنسان المذنب وإن كان يؤاخذ على ارتكاب ذلك الظاهر المنهي عنه، الذي كشف الشارع الحكيم بعض واقعه، إلا أنه يصيبه عذاب حقيقة ذلك الشيء وواقعه، وذلك كما قال تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**﴾[1] وكما جاء في المثل المعروف: «وكل إناء بالذي فيه ينضح» [2]، أو «إنك لا

---

(١) سورة المدثر: الآية ٣٨.

(٢) جاء في الوافي بالوفيات للصفدي: قال ابن خلكان: قال الشيخ نصر الله بن مجلي رأيت في المنام علي بن أبي طالب عليه السلام فقلت له: يا أمير المؤمنين، تفتحون مكة فتقولون: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ثم يتم على ولدك الحسين عليه السلام يوم الطف ما تم؟!

←

تجني من الشوك العنب»[1].

وقال رسول الله ﷺ في حديث المعراج:

«.. فإذا أنا بأقوام يقذف بالنار في أفواههم، فتخرج من أدبارهم فقلت: من هؤلاء؟

قال ـ جبرائيل ـ: هؤلاء ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً**﴾[2] ثم مضيت فإذا أنا بأقوام يريد أحدهم أن

→

فقال لي: أما سمعت أبيات ابن صيفي في هذا؟ فقلت: لا. فقال: اسمعها منه، ثم استيقظت فبادرت إلى دار حيص بيص فخرج إلي فذكرت له الرؤيا، فشهق وأجهش بالبكاء وحلف بالله إن كانت خرجت من فمي أو خطي إلى أحد، وإن كنت نظمتها إلا في ليلتي هذه ثم إنه أنشدني من الطويل:

ملكنا فكان العفو منا سجيــة ولما ملكتم سال بالدم أبطـــح
وحللتم قتل الأســارى وطالما غدونا على الأسرى نمن ونصفح
وحسبكم هذا التفــاوت بيننا وكل إناء بالذي فيـــه ينضــح

والحيص بيص هو أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن الصيفي التميمي الملقب شهاب الدين المعروف بحيص بيص، الشاعر المشهور، توفي سنة (٥٩٤هـ) وكان يزعم أنه من ولد أكثم بن صيفي حكيم العرب.

الوافي بالوفيات: ج١٥ ص١٠٤ الحيص بيص.

(١) ورد في كتب العامة حديثٌ نسب إلى رسول الله ﷺ: «كما لا يجتني من الشوك العنب كذلك لا ينزل الفجار منازل الأبرار».

(٢) سورة النساء: الآية ١٠.

يقوم فلا يقدر من عظم بطنه! فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ قال: فهم ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ**﴾ [1] وإنهم لبسبيل آل عمران يعرضون على النار..» [2].

إذن: فإن فكر الإنسان وعقيدته وقوله وعمله، مثله كمثل البذرة في النمو والعطاء، فمن أي جنس كانت البذرة فإنها تعطي بعد غرسها في الأرض ثماراً من نفس جنسها وفصيلتها، فبذرة البرتقال تعطي البرتقال، وبذرة الحنظل تعطي الحنظل، وهذا الكلام يجري في المعنويات، إن حسناً فحسن، وإن سيئاً فسيء.

كما تُدين تُدان

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الكون والحياة طبق موازين حكيمة وثابتة لا تتغير، وإليه أشار بقوله جلا وعلا: ﴿**سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً**﴾ [3] وقوله عزوجل: ﴿**وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ**

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٧٥.

(٢) بحار الأنوار: ج٦ ص٢٣٩ ب٨ ح٥٩.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٦٢.

اللهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلاً﴾ [1]، وقوله تعالى: **﴿سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾** [2] فحاصل ضرب الاثنين في الاثنين دائماً أربعة، ولكل فعل ردّ فعل مساو له في القوة ومعاكس له في الاتجاه، ويقع معه على خط واحد.

وكذلك الإنسان، فاذا كان ينوي بعمله أن يهين شخصاً ما، أو يستهزئ به ويسخر منه، أو يعيّره بعيب أو نقص بدني أو أخلاقي، فليعلم بأنه يأتي عليه يوم يبتلي فيه بنفس ما عيّر به غيره، ويقع مورداً للسخرية والاستهزاء والإهانة. كل ذلك على أثر النظام التكويني الذي جعله الله سبحانه وتعالى حاكماً في هذا الكون وفي هذه الحياة، والتأريخ مشحون بهذه القضايا ونظائرها.

يقول أحد الأشخاص: عند ما كنت في ـ المنطقة الفلانية ـ لم أكن أعامل إمام المسجد في تلك المنطقة، معاملة حسنة تليق بإمام مسجد، حيث لم أكن أقدم له الاحترام اللائق به، والعجيب أني وبعد فترة من الزمان انتقلت إلى منطقة أخرى، وكان إمام مسجدها يعاملني بنفس المعاملة التي كنت أعامل بها ذلك

---

(١) سورة فاطر: الآية ٤٣.

(٢) سورة الفتح: الآية ٢٣.

الإمام من عدم الاحترام، فعرفت من ذلك أن الدنيا تدور من حيث العمل والجزاء، على قانون المكافاة، ذلك على وفق القاعدة المعروفة التي قالها أمير المؤمنين عليه السلام: «كما تُدين تُدان» فكان ما أصابني هنا جزاءً لتصرفي هناك.

فعن الأصبغ بن نباتة قال: إن أمير المؤمنين عليه السلام قال لأصحابه: «اعلموا يقيناً، أن الله تعالى لم يجعل للعبد وإن عظمت حيلته، واشتد طلبه، وقويت مكايده أكثر مما سمى له في الذكر الحكيم، فالعارف بهذا العاقل له أعظم الناس راحة في منفعته، والتارك له أعظم الناس شغلا في مضرته، والحمد لله رب العالمين. ورب منعم عليه مستدرج، ورب مبتلى عند الناس مصنوع له، فأبق أيها المستمع من سعيك، وقصر من عجلتك، واذكر قبرك ومعادك، فإن إلى الله مصيرك، وكما تدين تدان». (١)

وقال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ**﴾(٢).

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ص١٦٣ المجلس٦ ح٢٧١.

(٢) سورة الزلزلة: ٧ ـ ٨. ورؤية الثواب والعقاب لا تختص بالآخرة فقط بل قد يرى الإنسان جزاء عمله في الحياة الدنيا أيضا.

وقال تعالى: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِن فَضْلِهِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ * أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[1].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[2].

وقال عزوجل: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾[3].

وعن الامام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «القرين الناصح هو العمل الصالح»[4].

---

(١) سورة النور: الآية ٣٧ـ ٤٠.

(٢) سورة يونس: الآية ١٤.

(٣) سورة النساء: ١٢٤ الآية.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٥٤ ق١ ب٦ ف٤ ح٢٨٦٥.

وعنه عليه السلام أيضاً: «الشرف عند الله سبحانه بحسن الأعمال لا بحسن الأقوال»[1].

٢: المتغافل عن الحقوق

أما القسم الثاني: فهو الشخص الذي يتناسى ما أنعم الله عليه، ويتغافل عن أداء شكره والقيام بحقه، وإنما همّه في الحياة تحقيق أوهامه وهواجسه من حب الجاه والمقام، والوصول إلى المناصب والكراسي، والتسلط على الناس ونحو ذلك، وهذا القسم من الناس هم كالقسم الأول من حيث النتيجة، فهم قد تركوا عقولهم ولم يستفيدوا منها، فهم متأخرون ومتخلفون؛ لأن أنفسهم قد فرغت من العلم والحقيقة، وأذعنت للدنيا وما فيها، واتبعت الوهم والخيال وتغافلت عن أداء ما عليها من الحقوق تجاه الله وتجاه عباد الله، فهو في عداد الحمقى. وقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «من أعجب بنفسه هلك، ومن أعجب برأيه هلك، وإن عيسى ابن مريم عليه السلام قال: داويت المرضى فشفيتهم بإذن الله، وأبرأت الأكمه والأبرص بإذن الله، وعالجت الموتى فأحييتهم بإذن الله، وعالجت الأحمق فلم أقدر على إصلاحه، فقيل: يا روح الله وما

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٥٣ ق١ ب٦ ف٤ ح٢٨٣٨.

الأحمق؟ قال: المعجب برأيه ونفسه الذي يرى الفضل كله له لا عليه، ويوجب الحق كله لنفسه، ولا يوجب عليها حقاً، فذاك الأحمق الذي لا حيلة في مداواته»[1].

وكم لمثل هؤلاء من شواهد ونماذج في التاريخ، فبنو أمية ـ كما يؤكده التأريخ ـ كانوا من عشاق الوهم والخيال، ومن هواة الجاه والمقام، وكانوا يحملون الحقد ضد الدين وضد النبي والآل الأطهار عليهم السلام، فقاتلوا النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ومن بعده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ثم الإمام الحسن عليه السلام ثم الإمام الحسين عليه السلام كي يسلبوهم ما خصّهم الله تعالى به من منصب ومقام، ويستبدوا دونهم بالكرسي والحكم، وكان هذا هو الداعي من تجييش أبي سفيان الجيوش ضد الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، وتأجيج معاوية نار الحرب ضد أمير المؤمنين عليه السلام والإمام الحسن المجتبى عليه السلام ودس السم إليه، وتهييج يزيد بن معاوية الفتنة العمياء، والإبادة الجماعية ضد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام.

نعم، إن اتّباع الوهم والخيال وحبّ الجاه والمقام، لا يؤثر على الدين فقط، بل على الدنيا أيضاً؛ إذ هو كما يؤثر على العقل وعلى طريقة التفكير يؤثر على الالتزام والسلوك؛ لذلك يلزم على الإنسان أن يجتنب

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١ ص١٣٨ ب٢١ ح٢٠١.

عنه، لأنه مخالف لإنسانية الإنسان، وما رزقه الله من لبّ وعقل، وقدرة على التفكير السليم والاستنتاج الصحيح.

روايات في العقل

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إن أفضل الناس عند الله من أحيا عقله، وأمات شهوته، وأتعب نفسه لصلاح آخرته»[1].

وعنه عليه السلام أيضاً: «أصل العقل الفكر وثمرته السلامة»[2].

وعنه عليه السلام أيضاً: «العقل والشهوة ضدان، ومؤيد العقل العلم، ومزين الشهوة الهوى، والنفس متنازعة بينهما، فأيهما قهر كانت في جانبه»[3].

ومن كتاب له عليه السلام إلى واليه على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري، يحذره أن يكون من الغافلين فكتب إليه: «أما بعد يا ابن حنيف، فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة، فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان، وما ظننت

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٥٠ ق١ ب١ ف٤ ح٣٠٨.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٥٢ ق١ ب١ ف٤ ح٤٠٤.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٥٣ ق١ ب١ ف٤ ح٤٤٨.

أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو وغنيهم مدعو، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه. ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد، فوالله ما كنزتُ من دنياكم تبراً، ولا ادخرتُ من غنائمها وفراً، ولا أعددتُ لبالي ثوبي طمراً، ولا حزتُ من أرضها شبراً، ولا أخذتُ منه إلا كقوت أتان دبرة، ولهي في عيني أوهى وأوهن من عفصة مقرة[1]، بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلته السماء، فشحّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس قوم آخرين، ونِعمَ الحَكَم الله، وما أصنع بفدك وغير فدك، والنفس مظانها في غد جدث، تنقطع في ظلمته آثارها، وتغيب أخبارها، وحفرة لو زيد في فسحتها وأوسعت يدا حافرها، لأضغطها الحجر والمدر وسد فرجها التراب المتراكم، وإنما هي نفسي أروّضها بالتقوى؛ لتأتي

(١) العفصة: كعطسة: نتوء، أي دبس يكون على شجرة البلوط، ويطلق أيضا على نفس شجرة البلوط، والتاء فيه للوحدة، والجنس: العفص كفلس. ويقال: مقر ـ من باب عَلِمَ ـ مقرا الشيء: صار مرا أو حامضا، فهو مقر كفرح، والمصدر كالفرح.

آمنةً يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق، ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرى، أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داءً أن تبيت ببطنة وحولك أكباد تحن إلى القــد

أأقنع من نفسي بأن يقال: هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوةً لهم في جشوبة العيش، فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات ـ إلى أن يقول عليه السلام : ـ فوالله، لا أذل لك ـ للدنيا ـ فتستذليني، ولا أسلس لك فتقوديني، وأيم الله يميناً أستثني فيها بمشيئة الله، لأروضن نفسي رياضةً تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً، وتقنع بالملح مأدوماً، ولأدعن مقلتي كعين ماء نضب معينها، مستفرغةً دموعها، أ تمتلئ السائمة من رعيها فتبرك، وتشبع الربيضة من عشبها فتربض، ويأكل علي من زاده فيهجع، قرت إذاً عينه، إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة، والسائمة المرعية. طوبى لنفس أدت إلى ربها فرضها، وعركت بجنبها بؤسها، وهجرت في الليل غمضها، حتى إذا غلب

الكرى عليها افترشت أرضها وتوسدت كفها في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم، وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم، وهمهمت بذكر ربهم شفاههم، وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم ﴿**أُولئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[1] فاتق الله يا ابن حنيف، ولتكفف أقراصك ليكون من النار خلاصك»[2].

٣: المؤدّي للحقوق

وأما القسم الثالث: فهو الشخص الذي يتذكر نعم الله تعالى عليه ويحاول شكرها وأداء حقها، فيسلك السلوك العقلائي متبعاً في ذلك نداء العقل السليم، والفطرة السالمة، والفكر الناضج الذي منحه الله سبحانه إياه، وهذا القسم من الناس يتمثلون بالأفراد الذين هم دائماً في عمل دائب، وتقدم مستمر، لأنهم يستفيدون من نور العقل والفطنة، ويستخدمون مواهبهم وطاقاتهم من أجل ذلك.

نعم، إن الإنسان العاقل تراه دائماً يحكّم عقله، ويمارس النشاط، ويزاول العمل الجاد، ليؤدي ما عليه

---

(١) سورة المجادلة: الآية: ٢٢.

(٢) نهج البلاغة، الكتب: ٤٥ من كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وكان عامله على البصرة..

من حق تجاه الله وتجاه عباد الله، وليحصل على مراتب أعلى من العلم والعمل، ويحرز مقامات أكبر من الرقي والتقدم، لنفسه ومجتمعه،

وقد جاء في وصايا رسول الله ﷺ لابن مسعود: «.. إذا عملت عملاً فاعمل بعلم وعقل، وإياك وأن تعمل عملاً بغير تدبير وعلم؛ فانه جل جلاله يقول: ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً**﴾[1]»[2].

وهذا القسم من الناس لا يعرفون الكسل والملل، ولا النصب والتعب؛ لذلك تراهم يتربعون على القمة دائماً، لأنهم وجدوا مفتاح النجاح والفلاح والرقي والتقدم، ألا وهو العمل الجاد المسبوق بالتعقل والتدبّر، والعلم والمعرفة.

ولهذا القسم من الناس الذين جعلوا العقل هادياً ومرشداً لهم، واتبعوا ما يدعوهم إليه من أداء حقوق الله وحقوق عباد الله نماذج كثيرة، وفي مقدمتهم وعلى رأسهم النبي الكريم ﷺ والأئمة الطاهرين من أهل بيته عليهم السلام ثم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ثم تلامذتهم من العلماء العاملين الصالحين.

---

(١) سورة النحل: الآية ٩٢.

(٢) بحار الأنوار: ج٧٤ ص١١٢ ب٥ ضمن ح١.

صفات القسم الثالث

قال الإمام الصادق عليه السلام: «قام رجل يقال له: هَمّام، وكان عابداً ناسكاً مجتهداً إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يخطب، فقال: يا أمير المؤمنين، صِف لنا صفة المؤمن، كأننا ننظر إليه؟ فقال: يا همام، المؤمن هو: الكيّس الفَطِن، بُشره في وجهه، وحُزنه في قلبه، أوسع شيء صدراً، وأذلّ شيء نفساً، زاجر عن كل فانٍ، حاضٌّ على كل حسن، لا حقود ولا حسود، ولا وثّاب ولا سبّاب ولا عيّاب ولا مُغتاب، يكره الرفعة، ويشنأ السُمعة، طويل الغمّ، بعيد الهَمّ، كثير الصمت، وقور ذكور، صبور شكور، مغموم بفكره، مسرور بفقره، سهل الخليقة، ليّن العريكة، رصين الوفاء، قليل الأذى، لا متأفّك ولا متهتك، إن ضحك لم يَخرَق، وإن غضب لم يَنزَق، ضحكه تبسّم، واستفهامه تعلّم، ومراجعته تفهّم، كثير علمه، عظيم حلمه، كثير الرحمة، لا يبخل ولا يعجل، ولا يَضجَر ولا يَبطَر، ولا يحيف في حكمه، ولا يجورُ في علمه، نفسه أصلب من الصَّلْد، ومكادحته أحلى من الشَّهْد، لا جَشِع ولا هَلِع، ولا عَنِف ولا صَلِف، ولا متكلّف ولا متعمق، جميل المنازعة، كريم المراجعة، عدل إن غضب، رفيق إن طلب، لا يتهور ولا يتهتك ولا يتجبّر، خالص الود، وثيق العهد، وفيّ العقد، شفيق وصول، حليم خَمول، قليل الفُضول، راض عن الله

عز وجل، مخالف لهواه، لا يغلظ على من دونه، ولا يخوض فيما لا يعنيه، ناصر للدين، مُحامٍ عن المؤمنين، كهف للمسلمين، لا يخرق الثناء سَمعَه، ولا يَنكِي الطمَع قلبه، ولا يصرف اللعب حُكمَه، ولا يطلع الجاهل علمه، قوّال عمّال، عالم حازم، لا بفحاش ولا بطيّاش، وصول في غير عُنف، بذول في غير سرف، لا بِخَتّال ولا بِغَدّار، ولا يقتفي أثراً ولا يحيف بشراً، رفيق بالخَلْق، ساعٍ في الأرض، عون للضعيف غوث للملهوف، لا يهتك ستراً ولا يكشف سراً، كثير البلوى قليل الشكوى، إن رأى خيراً ذكره، وإن عاين شراً ستره، يستر العيب ويحفظ الغيب ويقيل العثرة ويغفر الزلة، لا يطلع على نصح فيذره، ولا يدع جِنحَ حيف فيصلحه، أمين رصين تقي نقي زكي رضي، يقبل العذر ويجمل الذكر ويحسن بالناس الظن، ويتهم على العيب نفسه، يحب في الله بفقه وعلم، ويقطع في الله بحزم وعزم، لا يخرق به فَرَح ولا يطيش به مَرَح، مذكّر للعالم معلّم للجاهل، لا يتوقع له بائقة ولا يخاف له غائلة، كل سعي أخلص عنده من سعيه، وكل نفس أصلح عنده من نفسه، عالم بعيبه شاغل بغمّه، لا يثق بغير ربه، غريب وحيد جريد حزين، يحب في الله ويجاهد في الله ليتبع رضاه، ولا ينتقم لنفسه بنفسه ولا يوالي في سخط ربه، مُجالس لأهل الفقر، مُصادق لأهل الصدق، مؤازر لأهل الحق، عون للقريب، أب

لليتيم، بعل للأرملة، حفي بأهل المسكنة، مرجو لكل كريهة، مأمول لكل شدة، هشّاش بشاش لا بعبّاس ولا بجسّاس، صليب كظّام بسام، دقيق النظر، عظيم الحذر، لا يجهل وإن جُهل عليه يحلم، لا يبخل وإن بخل عليه صبر، عَقَلَ فاستحيا، وقَنَع فاستغنى، حياؤه يعلو شهوته، ووُدّه يعلو حسده، وعفوه يعلو حقده، لا ينطق بغير صواب ولا يلبس إلاّ الاقتصاد، مشيه التواضع، خاضع لربه بطاعته، راض عنه في كل حالاته، نيته خالصة أعماله ليس فيها غش ولا خديعة، نظره عبرة سكوته فكرة وكلامه حكمة، مناصحاً متباذلاً متواخياً، ناصح في السر والعلانية، لا يهجر أخاه ولا يغتابه ولا يمكر به، ولا يأسف على ما فاته ولا يحزن على ما أصابه، ولا يرجو ما لا يجوز له الرجاء ولا يفشل في الشدة ولا يبطر في الرخاء، يمزج الحلم بالعلم والعقل بالصبر، تراه بعيداً كسله، دائماً نشاطه، قريباً أمله، قليلا زلَّلُه، متوقعاً لأجله، خاشعاً قلبه، ذاكراً ربَّه، قانعةً نفسه، منفياً جهله، سهلاً أمره، حزيناً لذنبه، ميتةً شهوته، كظوماً غيظه، صافياً خُلُقُه، آمناً منه جاره، ضعيفاً كبره، قانعاً بالذي قدر له متيناً صبره محكماً أمره كثيراً ذكره، يخالط الناس ليعلم، ويصمت ليسلم، ويسأل ليفهم، ويتجر ليغنم، لا ينصت للخبر ليفجر به، ولا يتكلم ليتجبر به على من سواه، نفسه منه في عناء والناس منه في راحة، أتعب

نفسه لآخرته فأراح الناس من نفسه، إن بغي عليه صَبَر حتى يكون الله الذي ينتصر له، بُعده ممن تباعد منه بغض ونزاهة، ودنوّه ممن دنا منه لين ورحمة، ليس تباعده تكبراً ولا عظمةً، ولا دنوه خديعةً ولا خلابةً، بل يقتدي بمن كان قبله من أهل الخير، فهو إمام لمن بعده من أهل البر.

قال: فصاح هَمّام صيحةً، ثم وقع مغشياً عليه.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أما والله لقد كنت أخافها عليه. وقال: هكذا تصنع الموعظة البالغة بأهلها. فقال له قائل: فما بالك يا أمير المؤمنين؟ فقال: إن لكل أجلاً لا يعدوه، وسبباً لا يجاوزه، فمهلاً لا تُعِد، فإنما نَفَث على لسانك شيطان»[1].

* وخطب الناس الإمام الحسن المجتبى عليه السلام فقال: «أيها الناس، أنا أخبركم عن أخ لي كان من أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدنيا في عينه، كان خارجاً من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد، كان خارجاً من سلطان فرجه فلا يستخف له عقله ولا رأيه، كان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يمد يده إلا على ثقة لمنفعة، كان لا يتشهى ولا يتسخط ولا يتبرم، كان

---

(١) الكافي: ج٢ ص٢٢٦ باب المؤمن وعلاماته وصفاته ح١.

أكثر دهره صماتاً، فإذا قال بذ القائلين، كان لا يدخل في مراء ولا يشارك في دعوًى ولا يدلي بحجة حتى يرى قاضياً، وكان لا يغفل عن إخوانه ولا يخص نفسه بشيء دونهم، كان ضعيفاً مستضعفاً فإذا جاء الجد كان ليثاً عادياً، كان لا يلوم أحداً فيما يقع العذر في مثله حتى يرى اعتذاراً، كان يفعل ما يقول ويفعل ما لا يقول، كان إذا ابتزه أمران لا يدري أيهما أفضل نظر إلى أقربهما إلى الهوى فخالفه، كان لا يشكو وجعاً إلا عند من يرجو عنده البرء، ولا يستشير إلا من يرجو عنده النصيحة، كان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يتشكى ولا يتشهى ولا ينتقم، ولا يغفل عن العدو، فعليكم بمثل هذه الأخلاق الكريمة إن أطقتموها، فإن لم تطيقوها كلها فأخذ القليل خير من ترك الكثير، ولا حول ولا قوة إلا بالله».[1]

نماذج من القسم الثالث:

إن العلماء الربانيين هم تلامذة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام حيث يسعون إلى أن يتبعوهم في كل شيء، وخاصة في مجال أداء حقوق الله وحقوق الناس، وفي مجال العلم والعمل، والاستفادة الأكمل من العقل، وقد

(١) الكافي: ج٢ ص٢٣٧ باب المؤمن وعلاماته وصفاته ح٢٦.

ذكروا في أحوال المرحوم شريف العلماء رحمه الله[1]، أن سراج غرفته في المدرسة لم يطفأ في الليل أبداً، ولمدة سبع سنوات متوالية؛ لأنه كان مشغولاً من الليل حتى الصباح بالمطالعة والمراجعة والتدقيق والتحقيق، ولم يكن ليذوق طعم الراحة والنوم، وبعد تلك السنوات السبع، مرت عليه سبع سنوات أخرى لم يشعل في غرفته سراجاً أبداً، حيث إنه كان مشغولاً بالتفكر والتأمل، فيما استوعبه من الدروس والعلوم.

* وذكروا أيضاً في أحوال الحاج السيد أسد الله

---

(١) المولى محمد شريف بن حسن علي المازندراني الحائري، شيخ الفقهاء العظام، ومربي الفضلاء الفخام، أستاذ العلماء الفحول، جامع المعقول والمنقول، ولد في الحائر الشريف وتتلمذ على صاحب «الرياض» والسيد المجاهد، ورزق السعادة في التدريس والإفادة وكثرة التلاميذ من الفقهاء والعلماء. قال الشيخ محمد حسن آل ياسين وكان أحد تلامذته: كان يدرسنا علم الأصول في الحائر المقدس في المدرسة المعروفة بمدرسة حسن خان، وكان يحضر تحت منبره ألف من المشتغلين وفيهم المئات من العلماء الفاضلين، ومن تلامذته الشيخ مرتضى الانصاري رحمه الله وهو منقح تلك التحقيقات الأنيقة وكفى بذلك فخرا وفضلا، وكان بعض تلامذته كالفاضل الدربندي يفضله على جميع العلماء المتقدمين. انتهى. وممن تتلمذ عليه السيد ابراهيم صاحب «الضوابط»، والمولى إسماعيل اليزدي، وسعيد العلماء والسيد محمد شفيع الجابلقي. توفي في الحائر المقدس بالطاعون سنة (١٢٤٥هـ) وقبره قرب الصحن المطهر.

قدس سره [1] وهو أخ الميرزا الشيرازي الكبير قدس سره [2]، بأنه

---

(١) السيد أسد الله بن الحسين الحسيني الشيرازي من علماء القرن (١٢ـ ١٣هـ) الطبيب النطاسي الشهير وهو أخ المجدد الشيرازي الكبير. كان من الفضلاء الأعلام، اشتهر بالحكمة والمعرفة الجيدة الواسعة بالطب.

(٢) آية الله العظمى السيد محمد حسن الشيرازي، المشهور بالمجدد، عميد أُسرة الشيرازي، ولد في (١٥ جمادى الأولى ١٢٣٠هـ) هاجر إلى النجف الأشرف سنة (١٢٥٩هـ) ثم إلى سامراء (١٢٩١هـ)، تتلمذ عند العلماء الأعلام كالسيد حسن المدرس والمحقّق الكلباسي وصاحب الجواهر والشيخ الأنصاري.

كان عالماً وإماماً وفقيهاً ماهراً مدققاً ورئيساً دينياً ورعاً تقياً راجح العقل ثاقب الفكرة بعيد النظر مصيب الرأي حسن التدبير واسع الصدر طليق الوجه صاحب فراسة، قوي الحفظ، على جانب عظيم من كرم الأخلاق، بلغ من الرئاسة وجلالة الشأن مبلغاً لم يكن لأحد من الأمراء والملوك في أيامه، وكان كثير الرفق بالطلاب والحنو عليهم وحسن العشرة معهم. وكان في عصره من أكابر العلماء والمجتهدين كالشيخ محمد طه نجف والسيد كاظم اليزدي وغيرهم. وقد اتفق العلماء على تقديمه قدس سره بعد ارتحال الشيخ الأنصاري قدس سره كزعيم للطائفة. خرج الى سامراء سنة (١٢٩١هـ) وبخروجه اليها صارت اليها الرحلة، وتردد اليها الناس وأصحاب الحاجات من أقطار الدنيا، وأقيم فيها الدروس العلمية وقصدها طلاب العلوم الدينية، وشيدت فيها المدارس والدور.

قارع الاستعمار البريطاني في إيران وقاد ثورة التنباك (التبغ) ضده حيث أصدر فتوى بتحريم استعمال التنباك وهذا نصها: «استعمال التنباك والتتن حرام بأي نحو كان، ومن استعمله كان كمن حارب الإمام المنتظر عليه السلام»، مما سبب خروج البريطانيين من إيران، فقد أيقظت هذه الثورة العالم الإسلامي وأعطته الوعي السياسي في تاريخه الحديث، حيث تنبه المسلمون بفضلها إلى الأخطار التي يسببها النفوذ الأجنبي في ←

مضافاً إلى كونه من العلماء العاملين كان من الحكماء الماهرين، والأطباء الحاذقين في العراق، وكان قد حفظ كتاب القانون لابن سينا[1] على دقته الكبيرة

→

بلادهم. كما وقف بوجه الفتنة الطائفية التي أحدثها ملك أفغانستان عبد الرحمن خان حيث أخذ يقتل الشيعة هناك حتى بلغ من أجرامه أنه عمل منائر من رؤوس القتلى من شيعة آهل البيت عليهم السلام في كل مكان.

من مؤلفاته: تحريرات في الأصول، وتحريرات في الفقه، وكتاب الطهارة، وكتاب الصلاة، ورسالة الاجتماع في الأمر والنهي، وكراريس فيها السؤالات بخط سماحته، وكتب حاشية على نجاة العباد، وله رسائل عملية أخرى.

علماً بان الميرزا الكبير لم يكن يرغب بنشر كتبه ومؤلفاته، استحقارا منه لها، كما ذكره الشيخ آقا بزرك الطهراني قدس سره صاحب الذريعة في كتاب «هدية الرازي إلى الإمام المجدد الشيرازي» ص ٥٩ الفصل الرابع. ويقول عنه الأميني في كتابه «شهداء الفضيلة» ص٢٨٨: مجدد المذهب في القرن الرابع عشر، الإمام المؤتمن.. لم يثبت التاريخ نبأ زعيم ديني أكبر منه في القرون الإسلامية.

توفي قدس سره في سامراء سنة (١٣١٢هـ) وحمل الى النجف الأشرف، ودفن في الصحن العلوي الشريف، واقيمت له مجالس الفاتحة في جميع مدن العراق وايران وغيرها من بلاد الشيعة.

(١) الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا (٣٧٠-٤٢٨هـ) الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والإلهيات. ذهب إلى المكتب وعمره خمس سنين، واستغنى عن الأصول العربية والقواعد الأدبية وله من العمر عشر سنين، فتتلمذ عند محمود مساح في علوم الحساب والهندسة والجبر والمقابلة بإشارة والده، قرأ المنطق من أقسام مسائل الحكمة والاقليدس والمجسطي على الحكيم عبد الله بابلي في بخارا، وبعد ذلك اشتغل في ←

وصعوبته البالغة، وقد صار على إثر ذلك متقناً لدقائق الطب، وجزئيات الحكمة، وكانت وصفاته الطبية دقيقة وناجحة كثيراً.

وذكروا أيضاً بأنه كان هناك في العراق أحد العلماء الأعلام وكان قد حفظ عن ظهر القلب كتاب وسائل الشيعة مع أسناده[1]، وهذا الأمر وإن كان

→

الحكمة الطبيعية والإلهية، ففتحت له أبواب العلوم. ثم اشتغل بتحصيل علم الطب، فترقى في زمان قليل، فصار وحيدا في ذلك الفن، ومع ذلك كان يدرس مسائل الفقه والأصول. فلما بلغ سن الثامنة عشر فرغ من جميع العلوم المنطقية والرياضية والطبيعية، فمال إلى علم ما بعد الطبيعة، فاشتغل بمطالعة ما كتب في ذلك العلم. صنف نحو مائة كتاب بين مطول ومختصر، ونظم الشعر الفلسفي، ودرس اللغة مدة طويلة حتى بارى كبار المنشئين. أشهر كتبه (القانون) في الطب، يسميه علماء الفرنج (Canonmedicina) بقي معولا عليه في علم الطب ستة قرون، ترجمه الفرنج إلى لغاتهم وكانوا يتعلمونه في مدارسهم، وطبعوه بالعربية في روما وهم يسمون ابن سينا: (Avicenne) وله عندهم مكانة رفيعة. ومن تصانيفه (المعاد) رسالة في الحكمة، و(الشفاء) في الحكمة، و(السياسة)، و(أسرار الحكمة المشرقية)، وأرجوزة في (المنطق)، ورسالة (حي بن يقظان)، و(أسباب حدوث الحروف)، و(الإشارات) و(الطير)، و(أسرار الصلاة). قيل: كان الطب معدوما فأوجده بقراط، وكان ميتا فأحياه جالينوس، وكان متفرقا فجمعه الرازي، وكان ناقصا فأكمله ابن سينا.

(١) هو كتاب «تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة»، ويقال له: «الوسائل» تخفيفا، هو أحد الجوامع المتأخرة الكبرى للمحمدين الثلاثة، وهي: «الوافي» و«البحار» و«الوسائل». تأليف العلامة المحدث الحر العاملي نزيل خراسان الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي المشغري (المولود في ١٠٣٣ والمتوفى ١١٠٤ هـ) والكتاب حاو ←

سهلاً في اللفظ والمقال، إلا أنه صعب جداً في مقام الواقع والعمل؛ وذلك لأن حفظه يحتاج إلى وقت طويل، وفترة كبيرة من العمر يصرفها في الجدّ والمثابرة.

كما ذكروا في أحوال محمد بن زكريا الرازي

→

لجميع أحاديث الكتب الأربعة التي عليها المدار، وجامع لأكثر ما في كتب الامامية من أحاديث الاحكام، فهو أجمع كتاب لأحاديث الاحكام وأحسن ترتيبا لها حتى من «الوافي والبحار» لاقتصار «الوافي» على جمع خصوص ما في الكتب الأربعة، واقتصار «البحار» على ما عدا الكتب الأربعة مع كون جل أحاديثه في غير الاحكام، فنسبة هذا الجامع إلى سائر الجوامع المتأخرة كنسبة «الكافي» إلى سائر الكتب الأربعة المتقدمة، ويشبه الكافي أيضا في طول مدة جمعه إلى عشرين سنة كما صرح به الشيخ الحر نفسه في الفهرس الذي كتبه بعد تمام الكتاب (في سنة ١٠٨٨ هـ)، فلله در المؤلف وجزاه الله عن الاسلام خير جزاء المحسنين، حيث أتعب في هذا التأليف نفسه بما لايتحمله أكثر الخواص وذلك من فضل الله عليه وتوفيقه إياه، يؤتيهما من يشاء من عباده، ومع هذا الجهد الكثير والاتعاب البالغ قد فاته من الأحاديث المروية عن الأئمة الهادين سلام الله عليهم، ما لا يحصيه الا الله، وقد وفق الله شيخنا العلامة النوري لجمع بعض ما فاته من الأحاديث في جميع الأبواب في الجامع الكبير الموسوم بـ« مستدرك الوسائل». وقد قام الإمام الشيرازي ﷾ بجمع أحاديث الوسائل والمستدرك في موسوعة سماها (من فقه العترة الطاهرة) طبع خمسة مجلدات منها في القاهرة قبل أربعين عاماً تقريباً.

الطبيب الشهير[1]: بأنه كان حاذقاً في الحكمة إلى درجة عجيبة وماهراً في الطب مهارة غريبة، بحيث إنه كان يجلس في مكان ويجلس الحكماء الماهرون

---

(١) هو الفيلسوف، أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب، أوحد دهره وفريد عصره، جمع المعرفة بعلوم القدماء، وسيما الطب. كان ينتقل في البلدان، صاحب التصانيف، من أذكياء أهل زمانه، كان كثير الأسفار، وافر الحرمة، صاحب مروءة وإيثار ورأفة بالمرضى، وكان واسع المعرفة، مكبا على الاشتغال، مليح التأليف، وكان في بصره رطولة لكثرة أكله الباقلي، ثم عمي. وكان إليه تدبير بيمارستان الري، ثم كان على بيمارستان بغداد في دولة المكتفي، بلغ الغاية في علوم الأول. قيل: إن أول اشتغاله كان بعد مضي أربعين سنة من عمره، ثم اشتغل على الطبيب أبي الحسن علي بن ربن الطبري، الذي كان مسيحيا، فأسلم. وكان لابن زكريا عدة تلامذة، له تآليف كثيرة، منها كتاب: الحاوي في (٣٠ مجلدا) في الطب، والجامع، والأعصاب، والطب الروحاني، وهيئة العالم، وغيرها.

قال محمد بن الحسن الوراق: قال لي رجل من أهل الري شيخ كبير سألته عن الرازي فقال: كان شيخا يجلس في مجلسه ودونه التلاميذ، ودونهم تلاميذهم، ودونهم تلاميذ أخر. وكان يجئ الرجل فيصف ما يجد لأول من يلقاه، فان كان عندهم علم، وإلا تعداهم إلى غيرهم فان أصابوا، وإلا تكلم الرازي في ذلك. وكان كريما متفضلا بارا بالناس، حسن الرأفة بالفقراء والأعلاء، حتى كان يجرى عليهم الجرايات الواسعة، ويمرضهم. قال: ولم يكن يفارق المدارج والنسخ. ما دخلت عليه قط إلا رأيته ينسخ، إما يسود أو يبيض. وكان في بصره رطوبة لكثرة أكله للباقلي، وعمى في آخر عمره.

توفي ببغداد سنة إحدى عشرة وثلاثمائة.

والأطباء الحاذقون حوله على هيئة دوائر ثلاث، ويكون هو في مركزها، فكان المريض إذا راجع للعلاج يأتي إلى الحلقة الأولى، فإذا لم يستطع أطباء الحلقة الأولى تشخيص مرضه ودوائه، ومن ثم معالجته ومداواته، انتقل إلى الحلقة الثانية، وهكذا إلى الحلقة الثالثة، ثم إلى كبير الأطباء: محمد بن زكريا الرازي، فكان يقوم هو بنفسه معاينته والفحص عليه، وتشخيص مرضه ودائه، ثم يصف الوصفة لمداواته ومعالجته، وكان من يصل إليه لتشخيص المرض والداء قليلون جداً؛ لأن تلامذته الأطباء المستقرين في الحلقات الثلاث قبله، كانوا يمتازون بحذاقة عالية ومهارة كبيرة جداً في الطب، ولا عجب في ذلك بعد أن تعب كل منهم تعباً كثيراً على نفسه، حتى نال هذه المرتبة العالية، والدرجة الرفيعة من المهارة والحذاقة.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «لقد أخطأ العاقل اللاهي الرشد، وأصابه ذو الاجتهاد والجد»[1].

وعنه عليه السلام أيضاً: «أفضل الأعمال ما أكرهت النفوس عليها»[2].

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٦٠ ق١ ب١ ف٨ ح٦٧٧.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٥٦ ق١ ب٦ ف٤ ح٢٩٢٧.

القسم الثالث ونماذج أخرى

ذهبت ذات مرة لزيارة العلامة صاحب كتاب: «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» المعروف بالشيخ آقا بزرك الطهراني رحمه الله[1]، وبعدما استقر بنا المجلس

---

(١) الشيخ محمد محسن بن الحاج علي الشهير بـ«الشيخ آقا بزرك الطهراني» أي السيد الكبير، كان والده من خيرة تجار طهران المتدينين، ولد بطهران سنة (١٢٩٣هـ)، نشأ في بيت عرف بالتدين والفضل والولاء. لما أنهى مقدمات التعلم باللغة الفارسية، بدأ بدراسة العلوم العربية حيث درس النحو والصرف والخط والتجويد والمنطق والفقه وأصول الفقه والرياضيات، وفي سنة (١٣١٥هـ) عزم على الانتقال إلى جوار أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف لإكمال دراسته فيها، فبدأ دراسته عند جماعة من كبار علمائها، فحاز رتبة الاجتهاد في الفقه والاصول والحديث، وكانت له اليد الطولى في معرفة الكتب والاجازات وتراجم الرجال. تتلمذ على يد أشهر الأساتذة في النجف الأشرف، ومنهم: السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي صاحب كتاب «العروة الوثقى» والشيخ محمد كاظم الخراساني صاحب كتاب «كفاية الاصول»، والمحدث الكبير الميرزا حسين النوري صاحب كتاب «مستدرك الوسائل» والشيخ محمد طه نجف، والميرزا محمد تقي الشيرزاي قائد ثورة العشرين في العراق، والمولى فتح الله المعروف بـ (شيخ الشريعة الاصبهاني) وكلهم كانوا من كبار العلماء الأجلاء.

بعد وفاة استاذه المولى محمد كاظم الخراساني، انتقل إلى مدينة سامراء لحضور درس الميرزا محمد تقي الشيرازي، وبدأ هناك بتأليف كتابه الشهير «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» ثم انتقل إلى مدينة الكاظمية وبقى فيها سنتين، عاد بعدها إلى سامراء وبقي فيها فترة قصيرة وغادرها نحو النجف الاشرف، فأسس مطبعة السعادة، ولكنه اضطر إلى بيعها بعد أن منعته الحكومة العراقية من ممارسة عمله بحجة أنه أجنبي (إيراني)، ←

وتبادلنا أطراف الحديث من تفقّد حاله والسؤال عن صحته، سألته: هل حدث لك وأن تشرفت برؤية وزيارة الإمام صاحب العصر والزمان (عجل الله فرجه الشريف) أم لا؟ حيث كان الشيخ كثير الذهاب إلى مسجد

→

فباعها وباشر بطبع «الذريعة» بثمنها. في عام (١٣٦٤هـ) تشرف بزيارة بيت الله الحرام، فاتصل بالعلماء في مصر وسوريا والحجاز، وحصل منهم على اجازات في رواية الحديث من كبار علماء المسلمين، ترك مؤلفات كثيرة قيمة نذكر منها: الذريعة إلى تصانيف الشيعة: وهو فهرست كبير لما ألفه علماء الشيعة طوال أربعة عشر قرنا من الزمان، ويقع في ثمان وعشرين مجلداً. وله كتاب «طبقات اعلام الشيعة»، وكتاب «مصفى المقال في مصنفي علم الرجال» استعرض فيه أسماء خمسمائة شخص من رجال الشيعة الذين كتبوا وألفوا في علم الرجال. وكتاب «هدية الرازي إلى المجدد الشيرزاي»، وكتاب «النقد اللطيف في نفي التحريف عن القرآن الشريف» ودافع فيه عن أستاذه الشيخ النوري ويبرئه من التهمة التي وجهت إليه من أنه يقول بتحريف القرآن. وكتاب «توضيح الرشاد في تاريخ حصر الاجتهاد» ويبحث عن تاريخ حصر الاجتهاد في المذاهب الأربعة عند أبناء العامة والأسباب التى دعت إلى ذلك. وترك رحمه الله مكتبة كبيرة تضم حوالي خمسة آلاف كتاب مطبوع ومائتي كتاب مخطوط، أوقفها مع قسم من داره، فأصبحت مكتبة مهمة يهوي إليها طلاب العلم للاستفادة منها.

توفى الشيخ الطهراني قدس سره في يوم الجمعة (١٣ ذي الحجة ١٣٨٩) عن عمر يناهز (٩٦ عاما)، فخسر العالم الاسلامي محققا كبيرا أفنى عمره في خدمة العلم والدين.

السهلة[1].

(١) مسجد السهلة، أو مسجد سهيل، أو مسجد الشرى: موضع معروف يقرب من مسجد الكوفة. قال الشيخ الصدوق رحمه الله: هو موضع إدريس كان يخيط فيه. وروي أن حده إلى الروحاء. وردت في فضله روايات مستفيضة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «كان بيت إبراهيم (صلوات الله عليه) الذي خرج منه إلى العمالقة، وكان بيت إدريس عليه السلام الذي كان يخيط فيه، وفيه صخرة خضراء فيها صورة وجوه النبيين، وفيه مناخ الراكب، يعني الخضر عليه السلام».

وعن أبي بصير، عنه عليه السلام قال: قال لي: «يا أبا محمد، كأني أرى نزول القائم عليه السلام في مسجد السهلة بأهله وعياله». قلت: يكون منزله جعلت فداك؟ قال: «نعم، كان فيه منزل إدريس، وكان منزل إبراهيم خليل الرحمن، وما بعث الله نبيا إلا وقد صلى فيه، وفيه مسكن الخضر، والمقيم فيه كالمقيم في فسطاط رسول الله صلى الله عليه وآله وما من مؤمن ولا مؤمنة إلا وقلبه يحن إليه، وفيه صخرة فيها صورة كل نبي، وما صلى فيه أحد فدعا الله بنية صادقة إلا صرفه الله بقضاء حاجته، وما من أحد استجاره إلا أجاره الله مما يخاف» قلت: هذا لهو الفضل! قال: «نزيدك؟» قلت: نعم. قال: «هو من البقاع التي أحب الله أن يدعى فيها، وما من يوم ولا ليلة إلا والملائكة تزور هذا المسجد يعبدون الله فيه، أما إني لو كنت بالقرب منكم ما صليت صلاة إلا فيه، يا أبا محمد وما لم أصف أكثر». قلت: جعلت فداك، لا يزال القائم فيه أبدا؟ قال: «نعم». قلت: فمن بعده؟ قال: «هكذا من بعده إلى انقضاء الخلق».

وعن عبد الرحمن عن أبي عبد الله عليه السلام قال ـ في حديث ـ: فقال له أبو حمزة: بأبي أنت وأمي هذا مسجد السهلة؟! قال: «نعم، فيه بيت إبراهيم الذي كان يخرج منه إلى العمالقة، وفيه بيت إدريس الذي كان يخيط فيه، وفيه مناخ الراكب، وفيه صخرة خضراء فيها صورة جميع النبيين، وتحت الصخرة الطينة التي خلق الله عز وجل منها النبيين، وفيه المعراج، وهو الفاروق الأعظم موضع منه وهو ممر الناس وهو من ←

فأجاب رحمه الله قائلاً: مرضت مرضاً شديداً عندما كنت شاباً، فراجعت الأطباء في العراق ولكن لم أستعد عافيتي ولم تتحسن صحتي، فبقيت متحيّراً وعزمت على السفر إلى إيران ومراجعة الأطباء هناك.

فلما وصلت إلى طهران نزلت في إحدى المدارس العلمية هناك، وكان الوقت صيفاً والهواء حاراً، مصادفاً لفترة تعطيل الدراسة، لذلك كانت المدرسة

→

كوفان، وفيه ينفخ في الصور وإليه المحشر، ويحشر من جانبه سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب أولئك الذين أفلج الله حججهم وضاعف نعمهم المستبقون الفائزون القانتون، يحبون أن يدرءوا عن أنفسهم المفخر، ويجلون بعدل الله عن لقائه وأسرعوا في الطاعة فعملوا، وعلموا أن الله بما يعملون بصير، ليس عليهم حساب ولا عذاب يذهب الضغن يطهر المؤمنين ومن وسطه سار جبل الأهوان وقد أتى عليه زمان وهو معمور».

قال العلامة المجلسي في بيانه: قوله عليه السلام: «وفيه المعراج»، لعل المراد أن النبي صلى الله عليه وآله لما نزل ليلة المعراج وصلى في مسجد الكوفة أتى هذا الموضع وعرج منه إلى السماء، أو المراد: أن المعراج المعنوي يحصل فيه للمؤمنين. قوله عليه السلام: «وهو الفاروق موضع منه» أي: المعراج وقع من موضع منه، وهو المسمى بالفاروق، أو المراد: أن في موضع منه يفرق القائم عليه السلام بين الحق والباطل، كما ورد في خبر آخر أن فيها يظهر عدل الله قوله: «وهو ممر الناس» أي إلى المحشر. للتفصيل انظر الكافي: ج٣ ص٤٩٤ باب مسجد السهلة، وبحار الأنوار: ج٩٧ ص٤٣٤ ب٧ مسجد السهلة وسائر المساجد في الكوفة.

خالية من الطلاب؛ إذ أنهم كانوا قد ذهبوا ـ كعادتهم في موسم الصيف ـ إلى أطراف البلاد وأكنافها للتبليغ وهداية الناس، وكانت غرف المدرسة كلها مقفلة، فجلست بجانب إحدى الغرف المقابلة لباب المدرسة طلباً للراحة، وفي هذه الأثناء رأيت سيداً جليلاً، عليه هيبة ووقار، دخل المدرسة وأخذ يسير إلى جانب الغرف من اليمين، حتى إذا وصل إليّ سلم عليّ، فأجبت سلامه، فقال لي: كيف حالك يا شيخ محسن؟ قلت: الحمد لله رب العالمين، فقال لي: هل تحسنت صحتك؟ قلت: كلا، فإني أشعر بعدُ بوعكة صحية، وقد جئت إلى إيران لأجل المعالجة، فقال: أتريد أن تتحسن صحتك؟

قلت: نعم، فأدخل يده في جيبه وأعطاني مقداراً من «سكر النبات»، فأخذت منه قطعة صغيرة ووضعتها في فمي، فقال: إن شاء الله، ستتحسن صحتك، وبعد قليل ودّعني ومشى إلى جانب الغرف حتى بلغ باب المدرسة من جهة اليسار وخرج.

ثم إنه وبمجرد أن ذابت قطعة سكر النبات في فمي وسرت حلاوتها في بدني، بدأت أشعر بالصحة وأحس بالعافية وكأن الدم يجري في عروقي والقوة تتسرب إلى جسمي وبدني وجوارحي وأعضائي، بعدما كاد الضعف والإنهاك يشلانها عن الحركة، فقمت متجهاً نحو المرآة التي كانت معلقة في مدخل

المدرسة، ونظرت إلى صورتي فيها، فرأيت حمرة الدم تعود إلى وجهي، ولم أر شيئاً من تلك الصفرة وذلك الشحوب الذي كان يشتد عليّ يوماً بعد يوم ويغطي ملامح وجهي، والذي كان دليلاً عن انحلال القوى البدنية واضمحلالها عندي، وفي تلك اللحظة انقدح في ذهني لعل هذا السيد صاحب الجمال والجلال والهيبة والوقار كان هو صاحب الأمر والزمان عليه السلام فعدوت مسرعاً إلى خارج المدرسة، وأخذت أبحث عنه وأنظر إليه يميناً وشمالاً، علّني أجده أو أعرف جهة ذهابه، فلم أوفق لذلك، ثم سألت عنه بعض من صادفتهم هناك، فلم يكن جوابهم إلا أن قالوا بأنهم لم يروا شخصاً بهذه المواصفات التي ذكرتها لهم!! ثم إني احتفظت بالباقي من ذلك (سكر النبات) الذي أعطانيه الإمام عليه السلام، ولم أعط أحداً منه شيئاً قليلاً إلاّ وإنه كان يشفى في الحال.

نعم، إن هذه الخصوصية وأمثالها إنما يحصل عليها البعض الذي يتبع عقله ويقوم بأداء ما يفرض عليه عقله من حق الله وحق الناس إليهم، وذلك بوفاء وإخلاص، مسبوق بالعلم والمعرفة خال من المنّ والأذى، وبعيد عن الوهم والخيال، لذلك نال هذه الدرجة العالية من التوفيق.

قدوة القسم الثالث وأسوتهم

إن الإنسان وبجبلّته التي خلقه الله تعالى عليها يبحث دائماً عن أسوة يتأسى به، وقدوة يقتدي بسيرته، كي يستطيع المشي بأمان في درب الحياة المظلم والطويل، والبحث عن الأسوة له دوافع نفسية فطر الله الإنسان عليها، وذلك لتستمر رحلة الإنسان في الحياة نحو التقدم والازدهار، ولتتوارث الأجيال بعضها من بعض عوامل التقدم، ووسائل الازدهار: من اتّباع العقل والرقي، واحترام الحقوق وأدائها، واجتناب العقوق ووبالها، ومن التسلح بالعلم والمعرفة، والتحلّي بالاخلاق والآداب، والتجمل بالعمل والمثابرة.

ولم يهمل الله تعالى الإنسان في جانب القدوة والأسوة، وإنما جعل له من إذا اقتدى به سعد في دنياه وفاز في آخرته، وإذا تأسى به نال التقدم والرقي في الدنيا، وفاز بالجنة والرضوان في الآخرة، ثم عرّف ذلك القدوة لجميع الناس بقوله سبحانه: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً**﴾ [1].

ثم كان الأسوة والقدوة امتداداً للرسول الكريم أهل بيته عليهم السلام وفي مقدمة أهل البيت هو الإمام أمير

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

المؤمنين عليه السلام ما زال وسيبقى القدوة الحسنة والأسوة الصالحة، لأداء حق الله وحق الناس، وحق الحكم، وحق الرعية، والعدل والاحسان، والرفق والرحمة، والأخلاق والآداب، كيف لا يكون كذلك، وهو القائل في مجال المنصب والمقام كما في نهج البلاغة:

«.. فما راعني إلاّ والناس كعرف الضبع إلي، ينثالون علي من كل جانب، حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفاي، مجتمعين حولي كربيضة الغنم، فلما نهضت بالأمر نكثت طائفةٌ، ومرقت أخرى، وقسط آخرون، كأنهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[1] بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها، أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لو لا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء ألا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز..»[2].

---

(١) سورة القصص: الآية ٨٣.

(٢) نهج البلاغة، الخطب: ٣ من خطبة له عليه السلام وهي المعروفة بالشقشقية.

وعن عبد الله بن عباس قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار وهو يخصف نعله، فقال لي: «ما قيمة هذا النعل؟» فقلت: لا قيمة لها! فقال عليه السلام: «والله لهي أحب إليّ من إمرتكم، إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً..»[1].

آية الاحسان وأداء الحقوق

وقد جاء في تفسير الآية الكريمة: ﴿**إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا**﴾ أن معناه: إن أحسنتم في أقوالكم وأفعالكم، فنفع إحسانكم عائد عليكم، وثوابه واصل إليكم، وتنصرون على أعدائكم في الدنيا، وتثابون في العقبى ﴿**وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا**﴾ معناه: وإن أسأتم فقد أساتم إلى أنفسكم أيضاً، لأن مضرة الإساءة عائدة إليها، وإنما قال: ﴿**فَلَهَا**﴾ على وجه التقابل؛ لأنه في مقابلة قوله: ﴿**لأَنفُسِكُمْ**﴾ كما يقال: (أحسن إلى نفسه)، ليقابل (أساء إلى نفسه)، فلذلك وضع اللام موضع إلى. وقيل: إن قوله ﴿**فَلَهَا**﴾ بمعنى: فعليها، كقوله تعالى: ﴿**لَهُمُ اللَّعْنَةُ**﴾[2] أي: عليهم اللعنة. وقيل: معناه فلها الجزاء والعقاب، وهذا الخطاب لبني إسرائيل، ليكون الكلام جارياً على النسق والنظام.

---

(١) نهج البلاغة، الخطب: ٣٣ من خطبة له عليه السلام عند خروجه لقتال أهل البصرة.

(٢) سورة الرعد: الآية ٢٥.

ويجوز أن يكون خطاباً لأمة نبينا ﷺ، فيكون اعتراضا بين القصة وهو مطابق للبلاغة أيضاً، كما يفعل الخطيب والواعظ، يحكي شيئاً ثم يعظ، ثم يعود إلى الحكاية. فكأنه لما بينّ ـ الله سبحانه ـ أن بني إسرائيل لما علوا وبغوا في الأرض، سلط عليهم قوما، ثم لما تابوا قبل توبتهم، وأظفرهم على عدوهم، خاطب أمتنا بأن من أحسن عاد نفع إحسانه إليه، ومن أساء عاد ضرره إليه ترغيبا وترهيبا[1].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنك إن أحسنت فنفسك تكرم وإليها تحسن» [2].

وقال عليه السلام: «إنك إن أسأت فنفسك تمتهن وإياها تغبن» [3].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن: ج٦ ص٢٢٢ سورة الإسراء.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٨٦ ق٥ ب٤ ف٢ ح٨٨٢٣.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٦٥ ق٣ ب٢ ف٣ ح٥٧٢٥.

استنتاج

إذن، فمن اللازم على الإنسان هو أن يتبع عقله ويعمل بما يقتضيه ليرقى في دنياه وآخراه، كما يلزم عليه أنه يؤدي حق الله وحق الناس، ويفعل الخير للآخرين، فإنما يجنّب نفسه من عقوق الله والناس ويفعل الخير لنفسه، وذلك لرجوع النفع إليه، وعَود الأجر عليه. بينما الإنسان الجاحد لحق الله وحق الناس، التابع للشهوات والأوهام فإنه إنما يسيء بذلك لنفسه، ويعرّضها للعقوق، حيث يوقعها في المهالك ويبعدها عن الكمالات. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «صنائع المعروف تدر النعماء وتدفع البلاء».[1]

وهكذا يظهر لنا مصير الإنسان في أقسامه الثلاثة، فمن عمل بعقله سعد في الدنيا ونجا في الآخرة، وكان من الفائزين الآمنين، ومن عمل على خلاف العقل ومن أجل تحقيق وهمه وخياله واتباع شهواته، وصرف عمره مهتماً ببطنه وفرجه، شقي في الدنيا وهلك في الآخرة، وكان من الخائفين الخاسرين.

«اللهم صل على محمد وآله، واكفني ما يشغلني الاهتمام به، واستعملني بما تسألني غداً

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٨٦ ق٥ ب٤ ف٢ ح٨٨٢٦.

عنه، واستفرغ أيامي فيما خلقتني له، وأغنني وأوسع عليّ في رزقك، ولا تفتني بالنظر، وأعزني ولا تبتليني بالكبر، وعبّدني لك ولا تفسد عبادتي بالعجب، وأجر للناس على يديّ الخير، ولا تمحقه بالمنّ، وهب لي معالي الأخلاق وأعصمني من الفخر»[1].

(١) الصحيفة السجادية، من دعائه عليه السلام في مكارم الأخلاق ومرضي الافعال.

من هدي القرآن الحكيم

نعمة خلق الإنسان وحق الخالق:

قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ**﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ المَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً**﴾[2].

وقال جل وعلا: ﴿**خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾[3].

وقال تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الأِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً**﴾[4].

وقال سبحانه: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾[5].

---

(١) سورة الحجر: الآية ٢٦.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٥٤.

(٣) سورة الرحمن: الآية ٣، ٤.

(٤) سورة الإنسان: الآية ٢.

(٥) سورة التين: الآية ٤.

وقال عز وجل: ﴿**خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ**﴾[1].

معرفة الله وشكره عبر معرفة النفس والآفاق:

قال جل وعلا: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهمْ أَنَّهُ الحَقُّ**﴾ [2].

وقال تعالى: ﴿**وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ**﴾ [3].

وقال عز وجل: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾[4].

---

(١) سورة العلق: الآية ٢.

(٢) سورة فصلت: الآية ٥٣.

(٣) سورة الذاريات: الآية ٢٠.

(٤) سورة الشمس: الآية ٧ـ ٨.

العقول تهدي إلى شكر النعم وأداء الحقوق:

قال سبحانه: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[1].

وقال جل وعلا: ﴿**فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[2].

وقال تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ**﴾[3].

وقال سبحانه عز وجل: ﴿**وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ**﴾[4].

إتقان العمل وصلاحه

قال جل وعلا: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾[5].

وقال عز وجل: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً**﴾[6].

---

(١) سورة يوسف: الآية ٢.

(٢) سورة المائدة: الآية ١٠٠.

(٣) سورة الرعد: الآية ١٩.

(٤) سورة إبراهيم: الآية ٥٢.

(٥) سورة الكهف: الآية ٧.

(٦) سورة الكهف: الآية ٣٠.

وقال سبحانه: ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾[1].

قال الله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾ [2].

وقال سبحانه: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾[3]

قال جل وعلا: ﴿**اللهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأوَّلِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * إِلاَ عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ**﴾[4].

وقال تبارك وتعالى: ﴿**وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً**﴾[5].

وقال عز وجل: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ * أَلاَ للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾[6].

وقال سبحانه: ﴿**فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ***

---

(١) سورة الملك: الآية ٢.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ١ـ ٢.

(٣) سورة الشمس: الآية ٩ـ ١٠.

(٤) سورة الصافات: الآية ١٢٦ـ ١٢٨.

(٥) سورة الإسراء: الآية ٨٠.

(٦) سورة الزمر: الآية ٢ـ ٣.

إِلاَ عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾[1].

(١) سورة الصافات: الآية ٧٣ـ ٧٤.

من هدي السنة المطهرة

معرفة الله عبر معرفة النفس

روي: أنه دخل على رسول الله ﷺ رجل اسمه مجاشع فقال: يا رسول الله، كيف الطريق إلى معرفة الحق؟ فقال ﷺ: «معرفة النفس».

فقال: يا رسول الله، كيف الطريق إلى موافقة الحق؟ قال ﷺ: «مخالفة النفس».

قال: يا رسول الله، فكيف الطريق إلى رضاء الحق؟

قال ﷺ: «سخط النفس».

فقال: يا رسول الله، فكيف الطريق إلى وصل الحق؟

قال ﷺ: «هجر النفس».

فقال: يا رسول الله، فكيف الطريق إلى طاعة الحق؟

قال ﷺ: «عصيان النفس».

فقال: يا رسول الله، فكيف الطريق إلى ذكر الحق؟

قال ﷺ: «نسيان النفس».

فقال: يا رسول الله، فكيف الطريق إلى قرب الحق؟

قال ﷺ: «التباعد عن النفس».
فقال: يا رسول الله، فكيف الطريق إلى أنس الحق؟
قال ﷺ: «الوحشة من النفس».
فقال: يا رسول الله، كيف الطريق إلى ذلك؟
قال ﷺ: «الاستعانة بالحق على النفس»[1].

* وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «أفضل المعرفة معرفة الإنسان نفسه»[2].

* وقال ﷺ أيضاً: «من عرف قدر نفسه لم يهنها بالفانيات»[3].

* وقال الإمام الباقر عليه السلام: «لا غنى كغنى النفس، ولا قوة كغلبة الهوى، ولا نور كنور اليقين، ولا يقين كاستصغارك الدنيا، ولا معرفة كمعرفتك بنفسك»[4].

العقل وشكر النعم وأداء الحقوق:

قال الرسول الكريم ﷺ: «سيد الأعمال في الدارين: العقل، ولكل شيء دعامة ودعامة المؤمن

---

(١) غوالي اللآلي: ج١ ص٢٤٦ ف١٠ ح١.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٣٢ ق٣ ب٢ ف١ ح٤٦٣١.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٣٣ ق٣ ب٢ ف١ ح٤٦٥٣.

(٤) تحف العقول: ص٢٨٤ ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام، ضمن وصيته عليه السلام لجابر بن يزيد الجعفي.

عقله، فبقدر عقله تكون عبادته»[1].

وقال أبوعبد الله عليه السلام: «دعامة الإنسان: العقل، والعقل منه الفطنة والفهم والحفظ والعلم، وبالعقل يكمل، وهو دليله ومبصره ومفتاح أمره، فإذا كان تأييد عقله من النور كان عالماً حافظاً ذاكراً فطناً فهماً، فعلم بذلك كيف، ولِمَ، وحيث، وعرف من نصحه ومن غشّه، فإذا عرف ذلك عرف مجراه وموصوله ومفصوله، وأخلص الوحدانية لله والإقرار بالطاعة، فإذا فعل ذلك كان مستدركاً لما فات، وارداً على ما هو آت، يعرف ما هو فيه، ولأي شيء هو هاهنا، ومن أين يأتيه، والى ما هو صائرٌ، وذلك كله من تأييد العقل»[2].

وقال عليه السلام أيضاً: «من كان عاقلاً كان له دين، ومن كان له دين دخل الجنة»[3].

وقال عليه السلام: «حجة الله على العباد: النبي، والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل»[4].

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢٠٧ ب٨ ح١٢٧٥٢.

(٢) الكافي: ج١ ص٢٥ كتاب العقل والجهل ح٢٣.

(٣) الكافي: ج١ ص١١ كتاب العقل والجهل ح٦.

(٤) الكافي: ج١ ص٢٥ كتاب العقل والجهل ح٢٢.

العقل وأداء الحقوق واجتناب العقوق:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الخلق كلهم عيال الله، فأحبهم إلى الله عز وجل أنفعهم لعياله»[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ينبئ عن قيمة كل امرئ علمه وعقله»[2].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «لما أسري برسول الله صلى الله عليه وآله حضرت الصلاة فأذن وأقام جبرائيل، فقال: يا محمد تقدم، فقال رسول الله: تقدم يا جبرائيل، فقال له: إنا لا نتقدم الآدميين منذ أمرنا بالسجود لآدم» عليه السلام [3].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «قال الله عز وجل: الخلق عيالي، فأحبهم إلي ألطفهم بهم وأسعاهم في حوائجهم»[4].

وقال الإمام الصادق عليه السلام لأحد أصحابه: «اقرأ على من ترى أنه يطيعني منهم ويأخذ بقولي السلام، وأوصيكم بتقوى الله عز وجل والورع في دينكم والاجتهاد لله، وصدق الحديث وأداء الأمانة وطول

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٣٤٤ ب٢٢ ح٢١٧٢٠.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤١ ق١ ب١ ف١ ح١٢.

(٣) بحار الأنوار: ج١٨ ص٤٠٤ ب٣ ح١٠٨.

(٤) الكافي: ج٢ ص١٩٩ باب السعي في حاجة المؤمن ح١٠.

السجود وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد ﷺ أدوا الأمانة إلى من ائتمنكم عليها براً أو فاجراً، فإن رسول الله ﷺ كان يأمر بأداء الخيط والمخيط، صلوا عشائركم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا جعفري، فيسرني ذلك ويدخل علي منه السرور، وقيل: هذا أدب جعفرٍ، وإذا كان على غير ذلك دخل علي بلاؤه وعاره، وقيل: هذا أدب جعفرٍ، فو الله لحدثني أبي عليه السلام: إن الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة علي عليه السلام فيكون زينها، آداهم للأمانة وأقضاهم للحقوق وأصدقهم للحديث، إليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه فتقول: من مثل فلانٍ، إنه لآدانا للأمانة وأصدقنا للحديث».[1]

اتقان العمل وأداء الحقوق

قال الرسول الكريم ﷺ: «..إذا عمل أحدكم عملاً فليتقن»[2].

وقال ﷺ أيضاً: «..الله يحب عبداً إذا عمل عملاً

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦٣٦ كتاب العشرة ح٥.

(٢) وسائل الشيعة: ج٣ ص٢٢٩ ب٦٠ ح٣٤٨٣.

أحكمه»[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «قدموا خيراً تغنموا وأخلصوا أعمالكم تسعدوا»[2].

وقال عليه السلام أيضاً: «تصفية العمل أشد من العمل»[3].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً: «صفتان لا يقبل الله سبحانه الأعمال إلا بهما، التقى والإخلاص»[4].

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام: «وأعنّي على صالح النية، ومرضيّ القول، ومستحسن العمل»[5].

وقال الإمام الصادق عليه السلام في قول الله عز و جل: ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾[6] قال عليه السلام: «ليس يعني أكثر عملاً ولكن أصوبكم عملاً، وإنما الإصابة خشية الله، والنية الصادقة والحسنة» ثم قال: «الإبقاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل، والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحدٌ إلا الله عز وجل،

---

(١) وسائل الشيعة: ج٣ ص٢٣٠ ب٦٠ ح٣٤٨٤

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٥٥ ق١ ب٦ ف٤ ح٢٨٩٥.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٥٥ ق١ ب٦ ف٤ ح٢٩٠٣.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٥٥ ق١ ب٦ ف٤ ح٢٩١٤.

(٥) الصحيفة السجادية، من دعائه عليه السلام في يوم عرفة.

(٦) سورة الملك: ٢.

والنية أفضل من العمل، ألا وإن النية هي العمل..»[1].

(١) الكافي: ج٢ ص١٦ باب الإخلاص ح٤.

الفهرس

العقل ورعاية الحقوق..... ٣
في الإفراط والتفريط تضييع الحقوق..... ٨
تضييع الحقوق من جهات عديدة..... ١٦
الله تعالى وحق خالقيته..... ١٧
أمور تستدعي الذكر والشكر..... ١٨
الناس وأداء الحقوق..... ٢٠
١: المتجاهل للحقوق..... ٢١
عاقبة الإنسان المنكر للحقوق..... ٢٣
جحدة الحقوق في القرآن الحكيم..... ٣٠
كما تُدين تُدان..... ٣٣
٢: المتغافل عن الحقوق..... ٣٧
روايات في العقل..... ٣٩

٣: المؤدّي للحقوق..... ٤٢
صفات القسم الثالث..... ٤٤
نماذج من القسم الثالث..... ٤٨
قدوة القسم الثالث وأسوتهم..... ٦٢
آية الاحسان وأداء الحقوق..... ٦٤
استنتاج..... ٦٦
من هدي القرآن الحكيم..... ٦٨
من هدي السنة المطهرة..... ٧٣
الفهرس..... ٨٠

نبذة مختصرة عن مؤسسة أم أبيها عليها السلام في كربلاء المقدسة

❖ مؤسسة أم أبيها عليها السلام تعني بنشر تراث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين (صلوات الله عليهم اجمعين)، عبر طبع الكتب الدينية ونشر المحاضرات الإسلامية، وخاصة مؤلفات وآثار السادة الكرام من آل الشيرازي، رحم الله الماضين منهم وحفظ الباقين ذخراً للأمة.

❖ تتولى المؤسسة بعض النشاطات الخيرية والاجتماعية، كرعاية الفقراء والمساكين، وقضاء حوائج المؤمنين، وكفالة الأيتام، والمساهمة في تزويج الشباب.

❖ يمكنكم الاتصال بإدارة المؤسسة، والاستعلام عن مختلف نشاطاتها والمساهمة فيها، عبر الأرقام التالية، وعنوان البريد الالكتروني المذكور:

٠٠٩٦٤٧٧٠٢٧٨٧٧٨٣ / ٠٠٩٦٤٧٨١١١٦٩٥٩٦ / ٠٠٩٦٤٧٩٠٣٣٨٩٥٨٥

wazani_76@hotmail.com